



دولة ماليزيا

وزارة التعليم العالي (MOHE)

جامعة المدينة العالمية

كلية العلوم الإسلامية - قسم القرآن الكريم وعلومه

منهج الأنبياء في حوارهم مع أقوامهم من خلال القرآن الكريم

دراسة مقارنة

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في القرآن الكريم وعلومه

إعداد الباحث: حميد بن محمد لحموي

الرقم المرجعي MTF113AS249

تحت إشراف

د/خالد نبوي سليمان حجاج

أستاذ مساعد بقسم القرآن الكريم وعلومه

ووكيل عمادة الشؤون الطلابية

العام الجامعي: سبتمبر 2012م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

APPROVAL PAGE : صفحة الإقرار :

أقرت جامعة المدينة العالمية بماليزيا بحث الطالب حميد لحمويد
من الآتية أسماؤهم:

The dissertation has been approved by the following:

المشرف على الرسالة *Supervisor Academic*

د. جمال بلووس سليمان مجالي

المشرف على التصحيح *Supervisor of correction*

أ. ب. ا. هـ. م. محمد السيومي

رئيس القسم *Head of Department*

السيد محمد العرفي

عميد الكلية *Dean, of the Faculty*

د. محمد العرفي

Dean, Postgraduate Study نائب عميد الدراسات العليا

أحمد علي محمد
Ahmed Ali Mohamed

إقرار

أقررتُ بأنَّ هذا البحث من عملي الخاص، قمتُ بجمعه ودراسته، والنقل والاقتباس من المصادر والمراجع المتعلقة بموضوع البحث.

اسم الطالب : _____.

التوقيع : _____

التاريخ : _____

DECLARATION

I hereby declare that this dissertation is result of my own investigation, except where otherwise stated.

Name of student: -----.

Signature: -----

Date: -----

جامعة المدينة العالمية

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية الأبحاث العلمية غير المنشورة

حقوق الطبع 2014 © محفوظة

اسم الباحث هنا

عنوان الرسالة هنا

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل أو صورة من دون إذن المكتوب من الباحث إلا في الحالات الآتية:

- 1- يمكن الاقتباس من هذا البحث والغزو منه بشرط إشارة إليه.
- 2- يحق لجامعة المدينة العالمية ماليزيا الاستفادة من هذا البحث بمختلف الطرق وذلك لأغراض تعليمية، وليس لأغراض تجارية أو تسويقية.
- 3- يحق لمكتبة الجامعة العالمية بماليزيا استخراج النسخ من هذا البحث غير المنشور إذا طلبتها مكتبات الجامعات، ومراكز البحوث الأخرى.

أكد هذا الإقرار: -----

التوقيع: ----- التاريخ: -----

ملخص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم وبارك على نبيه المصطفى الأمين وعلى آله وصحبه أزكى التسليم.

وبعد، فهذا البحث الموسوم بمنهج الأنبياء في حوارهم مع أقوامهم في القرآن الكريم دراسة مقارنة، ما هو إلا محاولة متواضعة لعرض وبسط منهج الأنبياء الحوارية وأسلوبهم الدعوي في تعاملهم مع أقوامهم ، وذلك من خلال التأمل في سور القرآن الكريم وتتبع الآيات المتضمنة للحوار بين النبي وقومه ، قصد الوقوف على تنوع الأساليب والمناهج الحوارية في دعوة كل نبي من الأنبياء والمقارنة بينها ما أمكن .

وبما أن الإحاطة بجميع حوارات الأنبياء في القرآن الكريم والحديث عنها أمر ليس بالهين ويصعب تناوله، فقد عملنا على حصر البحث في عينةٍ محدّدة واقتصرنا على ذكرها دون باقي الأنبياء ، وهذه العينة وهي - نوح ، وإبراهيم ، ولوط ، وصالح ، وشعيب ، وموسى عليهم السلام جميعا - لم تختار بشكل عشوائي أو صدفة وإنما عن قصد وعلم وقد بيّنا ذلك بشكل مفصل في البحث .

وهذا البحث قد تم تقسيمه إلى جزأين : أوله، يتضمن تعريفا لمفردات عنوان البحث ودوائر الحوار في القرآن الكريم ، وثانيه، ينقسم بدوره إلى جزأين : أوله عبارة عن فصل يتضمن حوارات العينة المختارة بشكل مفصل ، وثانيه فصل يتضمن الحديث عن المنهج وذلك

يبرز الأساليب المنهجية المشتركة في حوارات الأنبياء مع أقوامهم ، وما يستنتج منها ،
للوقوف في الختام عند ملامح الحوار الناجح وإبراز مقوماته من خلال مناهج الأنبياء في
حوارهم مع أقوامهم .

ABSTRACT

In the name of the merciful and God bless him and bless the prophet Mustafa Amin and his family and companions purer delivery.

First of all , this is search named: Way of the Prophets in their dialogue with their people in a comparative study of the Quran, is only a modest attempt to view and extend curriculum Prophets and their style fairy lawsuit in their dealings with their people, and through meditation on the Holy Quran and follow the verses included for dialogue between Prophet and his people, in order to stand on the diversity of methods and curricula talk to invite all of the Prophets and compare them as much as possible.

As the dialogues take all the prophets in the Quran and talking about them is not easy and difficult to eat, we have worked to narrow your search to a select group , And cite mentioned without the rest of the prophets, and this group, which is - Noah, Abraham, Lot, and salih, and choaib, and Moses, peace be upon them all - You do not choose randomly or by chance, but with intent and knowledge that we have explained in detail in the search.

This search has been divided into two parts: first, includes a definition of the vocabulary of the title search and dialogue circles in the Quran, and the second, in turn, is divided into two parts: First chapter includes a selected group dialogues in detail, and the second chapter includes talk about the curriculum and methods to show that the methodology Dialogues of the prophets in common with their own people, and conclude them, to stand in the conclusion when the features of a successful dialogue and demonstrate its components through the curricula of the prophets in their dialogue with their people.

إهداء

أهدي هذا البحث المتواضع إلى والدي العزيز وأمي الغالية وإلى كل محب للعلم وأهله

وأسأل الله العظيم أن يرحمهما كما ربياني صغيرا

كلمة شكر

أقدم شكري وامتناني إلى:

الصرح العلمي الكبير - جامعة المدينة العالمية - التي فتحت لي أبوابها، لأنهل من معين

علمائها الصافي، وأحصل على شرف الانتساب والانتماء إليها.

الأستاذ الدكتور خالد نبوي سليمان حجاج الذي شرفني بإشرافه على بحثي.

إلى الدكتور أحمد نبيه مكاوي الذي مد لي يد العون في هذا البحث .

إلى كل من قدم لي دعمه ومساعدته في إنجاز هذا البحث.

وأسأل الله العظيم أن يشيب الجميع ويجزيهم خير الجزاء.

فهرس الرسالة

الموضوع	الصفحة
صفحة البسمة	ب
صفحة قرار توصية اللجنة ، وتوقيعات لجنة المناقشة	ج
ملخص البحث باللغة العربية	ز
ملخص البحث باللغة الإنجليزية	ط
صفحة إهداء	ي
صفحة شكر وتقدير	ك
فهرس المحتويات	ل
المقدمة	1
التمهيد	5
المحور الأول تعريف مفردات البحث	5
المنهج	5
النبوة	5
الحوار	9
القرآن	10

13	المحور الثاني دوائر الحوار في القرآن الكريم
13	حوار الله سبحانه وتعالى مع الملائكة
13	حوار الله سبحانه وتعالى مع إبليس
14	حوار الأنبياء مع أقوامهم
15	الفصل الأول حوار الأنبياء في القرآن الكريم
17	المبحث الأول حوار نوح مع قومه
22	المبحث الثاني حوار شعيب مع قومه
25	المبحث الثالث حوار صالح مع قومه
29	المبحث الرابع حوار إبراهيم مع قومه
36	المبحث الخامس حوار لوط مع قومه
40	المبحث السادس حوار موسى مع فرعون
45	الفصل الثاني منهج الأنبياء في حوارهم مع أقوامهم
46	المبحث الأول الأساليب المنهجية المشتركة في حوارات الأنبياء مع أقوامهم
46	الدعوة إلى التوحيد
48	التدرج في الحوار
52	البدء بالقضايا الكبرى

54	المزاوجة بين الترغيب والترهيب
56	الاعتماد على الأدلة
59	استخدام الجانب الوجداني
61	المبحث الثاني استنتاجات منهجية من حوارات الأنبياء مع أقوامهم
61	التسلح بالقوة الإيمانية في الحوار
63	التحلي بروح المبادرة
64	ختم الحوار بهدوء مهما كانت النتائج
67	المبحث الثالث ملامح الحوار الناجح من خلال مناهج الأنبياء في حوارهم مع أقوامهم
67	الإعداد الجيد للحوار
69	براعة الاستهلال في فتح باب الحوار
70	الانطلاق من الأمور المشتركة
72	احترام مصداقية الخصم
73	الخاتمة

74	فهرس الآيات القرآنية
84	فهرس الأحاديث النبوية
85	قائمة المصادر والمراجع

المقدمة:

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام و خص أمة محمد صلى الله عليه و سلم بالقرآن و الصلاة و السلام على سيد الخلق أجمعين و قائد الغر المحجلين إلى جنات النعيم سيدنا و نبينا محمد و على آله و صحبه و سلم تسليما.

و بعد، فقد اقتضت حكمة الله سبحانه و تعالى أن يبعث إلى الناس أنبياء و رسلا يندروهم و يبشروهم و يدعوهم إلى عبادة الله الواحد القهار قال تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾⁽¹⁾ ، فكان الأنبياء و الرسل عليهم السلام يعملون بجد و لا يألون جهداً و لا يدخرون وسعاً في تبليغ الدعوة إلى أقوامهم و يبدووا ذلك جليا في حواراتهم التي وردت في القرآن الكريم ، معتمدين في ذلك على الحوار منهاجا لتحقيق الغاية الكبرى و المتجلية في قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾⁽²⁾.

و إن سور القرآن الكريم حافلة بالآيات المتضمنة لحوار الأنبياء مع أقوامهم.

و من هذا المنطلق عازمت أن أبحث في هذا الموضوع – منهج الأنبياء في حوارهم مع أقوامهم في القرآن الكريم دراسة مقارنة – مركزا على الآيات المتضمنة للحوار بين النبي و قومه. قصد الوقوف على تنوع الأساليب و المناهج الحوارية عند كل نبي و المقارنة بينها ما أمكن.

و بما أن الحديث عن كل حوارات الأنبياء مع أقوامهم في القرآن الكريم أمر ينوء له أولوا العصبية من أهل العلم فما بالكم بطويلب علم مثلي، فاني قد اقتصرت على ذكر بعض الأنبياء و هم : (نوح ، وإبراهيم، ولوط، وصالح، وشعيب، وموسى عليهم السلام جميعا) .

(١) سورة فاطر الآية 24.

(٢) سورة الذاريات الآية 56.

مشكلة البحث:

يمكن تحديد مشكلة البحث في الأسئلة التالية:

- ١ - ما هي دوائر الحوار في القرآن الكريم؟
- ٢ - ماهي الأساليب المنهجية التي يحتاجها المحاور في حوارهِ؟
- ٣ - ماهي ملامح الحوار الناجح من خلال دراسة مناهج الأنبياء؟

أهداف البحث:

- الهدف من البحث وما أرجو أن أصل إليه مايلي:
- ١ - إنجاز بحث يكون مرجعا للدارسين و الباحثين.
 - ٢ - إبراز منهج الأنبياء في الحوار.
 - ٣ - إبراز مقومات الحوار الناجح من خلال دراسة مناهج الأنبياء في الحوار مع أقوامهم.

الدراسات السابقة:

كتب بعض العلماء والباحثين في موضوع الحوار و آدابه و أصوله و فضائله منها على سبيل المثال:

الحوار القرآني في سورة نوح دراسة تحليلية للدكتور يحيى بن محمد زمزمي

و لقد أفدت منها كثيرا ، إلا أنه رغم كل هاته الكتابات و غيرها لم أجد بحثا مستقلا عن موضوع - منهج الأنبياء في حوارهم مع أقوامهم في القرآن الكريم دراسة مقارنة - فارتأيت أن أكتب فيه و أبحث فيه راجيا من المولى جلا و علا أن أوفق في ذلك.

منهج البحث:

- ١ - جمعت فيه بين المنهج الاستقرائي في جمع بعض الآيات المتعلقة بالموضوع و بين المنهج الوصفي والمقارن، بوصف هذه الحوارات الدائرة بين الأنبياء و أقوامهم و المقارنة فيما بينها.
- ٢ - عزوت الآيات إلى سورها وأرقامها.
- ٣ - ذكرت عند الحاجة الأحاديث المتعلقة بموضوع البحث .

- ٤ -خرجت الأحاديث النبوية الواردة في البحث.
- ٥ -ربطت موضوعات البحث بآيات القرآن الكريم.
- ٦ -ترجمت للأعلام الواردة أسمائهم في المتن دون الحواشي.
- ٧ -وضعت فهرس لموضوعات البحث.

هيكل البحث :

يشتمل البحث على مقدمة وتمهيد، وفصلين وخاتمة.

تقسيمات البحث:

تمهيد و يحتوي على محورين:

المحور الأول: تعريف بعنوان البحث (منهج الأنبياء في حوارهم مع أقوامهم في القرآن الكريم،

ويتضمن:

١ -تعريف المنهج.

٢ -تعريف النبوة.

٣ -تعريف الحوار.

٤ -تعريف القرآن الكريم

المحور الثاني: دوائر الحوار في القرآن الكريم.

الفصل الأول: حوار الأنبياء في القرآن الكريم و فيه ستة مباحث :

المبحث الأول: حوار نوح مع قومه.

المبحث الثاني: حوار شعيب مع قومه.

المبحث الثالث: حوار صالح مع قومه.

المبحث الرابع: حوار إبراهيم مع قومه.

المبحث الخامس: حوار لوط مع قومه.

المبحث السادس: حوار موسى مع فرعون.

الفصل الثاني: منهج الأنبياء في حوارهم مع أقوامهم ، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الأساليب المنهجية المشتركة في حوارات الأنبياء مع أقوامهم.

- الدعوة إلى التوحيد

- التدرج في الحوار

- البدء بالقضايا الكبرى

- المزوجة بين الترغيب و التهيب

- الاعتماد على الأدلة

- استخدام الجانب الوجداني

المبحث الثاني: استنتاجات منهجية من حوارات الأنبياء مع أقوامهم.

المبحث الثالث: ملامح الحوار الناجح من خلال مناهج الأنبياء في حوارهم مع أقوامهم.

الخاتمة:

وسيتم فيها ذكر أهم نتائج البحث.

تمهيد

يشتمل على محورين وهما كالآتي:

المحور الأول: تعريف مفردات عنوان البحث (منهج الأنبياء في حوارهم مع أقوامهم في القرآن الكريم)

في هذا المحور سنتحدث بإذن الله تعالى عن مفردات عنوان البحث (منهج، نبوة، حوار، قرآن)

(١) المنهج: " المنهج لغة مصدر من نَهَجَ يَنْهَجُ نَهْجًا، أي طَرَقَ و سَلَكَ و اتَّبَعَ.

والمنهج هو الطريق أو السبيل الواضحة المعتمدة و المتبعة لبلوغ هدف معين^(١)

قال ابن منظور^(٢) " نَهَجٌ : طريق: وطريق نَهَجٌ بَيِّنٌ وَاضِحٌ، " ^(٣)

و المنهاج كالمناهج و في القرآن الكريم ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾^(٤) وتأتي مادة نَهَجَ أيضا

في صيغة الفعل الرباعي أَنَهَجَ . قال ابن منظور و أَنَهَجَ الطريق: وَضَحَ وَاسْتَبَانَ، و صار نَهَجًا وَاضِحًا

بَيِّنًا... و المنهاج الطريق الواضح. و في حديث العباس^(٥): { لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم

حتى ترككم على طريق ناهجة }^(٦) أي واضحة بينة. و فلان يستنهج سبيل فلان، أي يسلك

مسلكه. وقيل النهج الطريق المستقيم. و نَهَجَ الأمر و أَنَهَجَ، لغتان، إذا وَضَحَ^(٧).

(١) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 985.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، هو أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري

الرويفعي الإفريقي المصري، القاضي جمل الدين أبو الفضل، الأديب اللغوي المعروف

بابن منظور له مؤلفات عديدة أشهرها لسان العرب ت711هـ

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج2 ص 383 فصل النون

(٤) المائة الآية 50

(٥) سير أعلام النبلاء، هو عم رسول الله، ولد بمكة قبل النبي بعامين أو ثلاثة وكانت وفاته

عام 32

(٦) الخطابي، رواه الخطابي في غريب الحديث وهو موقوف، رح 841

(٧) لسان العرب ج 2 ص 383 فصل النون

إذن من خلال ما تقدم فالمنهج في اللغة يعني الطريق المستقيم، و المسلك و السبيل الواضح.

اصطلاح

"هو أسلوب و طريقة في التعامل مع المواضيع عرضا و طرحا و مناقشة. و هو بذلك يتعدد بحسب طبيعة الموضوع فيكون منهاجا علميا، فلسفيا، دينيا، تاريخيا، اجتماعيا..."

و المنهج هو الطريق أو الأسلوب الذي يسلكه الباحث العلمي في تفصيله الحقائق العلمية في أي فرع من فروع المعرفة، و في أي ميدان من ميادين العلوم النظرية و العلمية"⁽¹⁾.

إذن من خلال ما تقدم فالمنهج هو سبيل تفصي الحقائق العلمية و إذاعتها بين الناس، أو هو تلك القواعد و الآليات التي بواسطتها يصل الباحث إلى هدفه و غايته.

(٢) تعريف النبوة: النبوة مصدر لكلمة نبي، و لكلمة نبي في اللغة ثلاثة معاني يرجع أصل

اشتقاقها إليها و هي:

- معنى النَّبَأُ: أي الخبر⁽²⁾، فيكون اشتقاق الكلمة من فعل نَبَأَ، و نَبَأً و أَنْبَأَ أي أخبر.
- معنى النبوة و النَّبَاوة : أي العلو و الارتفاع، فيكون اشتقاق الكلمة من الفعل نَبَا بدون همز أي علا و ارتفع.

(١) د. حسين محمد أحمد عبد الباسط ، مفاهيم تربوية ، مقال الكتروني بتاريخ 13 ديسمبر 2011 مدونة الدكتور

حسين الالكترونية

(٢) المعجم الوسيط ص 896.

● معنى الطريق الواضح

و هذه المعاني كلها تصح في حق النَّبِيِّ لأنه مُنْبَأٌ من الله تعالى بواسطة الوحي و مُنْبِئٌ عنه ، كما أنه رفيع القدر و عال المنزلة، و دعوته هو الطريق الواضح الموصل إلى الله تعالى (1).

قال ابن فارس (2) : النون و الباء و الهمزة قياسه الإتيان من مكان إلى مكان، و من هذا القياس النَّبَأُ: الخبر لأنه يأتي من مكان إلى مكان، و المُهْبِئُ : المخبر ، و من هَمَزَ كلمة النَّبِيِّ فلأنه أخبر عن الله تعالى (3).

و قال الراغب الأصفهاني (4) : " قال بعض العلماء هو من النبوة أي الرفعة، و سمي نبيا لرفعة محله عن سائر الناس، المدلول عليه بقوله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ (5) فالنبي بغير همز أبلغ من النبيء بالهمز " (6)

و رجح شيخ الإسلام ابن تيمية كون " النبي مشتقا من النَّبَأُ أي الخبر، ذلك لأن الإنباء عن الله تعالى هو الذي يميز الأنبياء - عليهم السلام - عن غيرهم و معنى العلو و الرفعة داخل فيه لأن من أنبأه الله تعالى لا يكون إلا رفيع القدر عاليا. يقول ابن تيمية النَّبِيُّ و النَّبِيُّ مشتقان في الاشتقاق الأكبر فكلاهما فيه النون و الباء ، و في هذا الهمز، و هذا الحرف المعتل، لكن الهمزة أشرق فإنها أقوى ولهذا الأسباب ذهب ابن تيمية إلى أنه يجب القطع بأن النبي مأخوذ من الإنباء لا من النبوة" (7)

(1) لسان العرب ج 1 ص 162 فصل النون.

(2) سير أعلام النبلاء، هو أبو الحسين الرازي القزويني أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب ، المعروف بالرازي المالكي اللغوي، كان رأسا في الأدب، بصيرا بفقته مالك ت 395 هـ

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة " نبأ " ج 5 ص 385.

(4) هو أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني: أديب، من الحكماء العلماء من أهل أصبهان سكن بغداد واشتهر ، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي . من مؤلفاته المفردات في غريب القرآن، أفانين البلاغة، الذريعة إلى مكارم الشريعة... و كانت وفاته سنة 502 هـ.

(5) سورة مريم الآية 57

(6) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن " نبي " ج 1 ص 790.

(7) محمد ولد الداه ولد أحمد ولد الطالب عيسى، النبوة و الرسالة بين الإمامين الغزالي و ابن تيمية ص 63-65

تبين من خلال ما تقدم أن النبي هو من نَبَّأَهُ اللهُ تعالى بالغيب على وجه يؤمن به هو و يقطع أنه أمر من قبل الله تعالى ، و أن النبي إنسان بعثه الله لتبليغ ما أوحى إليه و كذا الرسول.

والفرق بين النبي و الرسول، "أن الرسول من أوحى إليه بشرع و أمر بتبليغه، و النبي من أوحى إليه بشرع و لم يؤمر بتبليغه، و لكن هذا الفرق لا يسلم من إشكال فإن النبي مأمور بالدعوة و التبليغ والحكم و لهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية⁽¹⁾: الصواب أن الرسول هو من أرسل إلى قوم كفار مكذبين و النبي من أرسل إلى قوم مؤمنين بشريعة رسول قبله يعلمهم و يحكم بينهم كما قال الله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾⁽²⁾

(١) هو شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله ابن تيمية. وُلِدَ بَحْرَانَ سَنَةَ 661هـ، تُوفِّيَ الشَّيْخُ (رَحِمَهُ اللَّهُ) وَهُوَ مَسْجُونٌ بِسُجْنِ الْقَلْعَةِ بِدِمَشْقَ لَيْلَةَ الْاِثْنَيْنِ 20 مِنْ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ 728هـ،

(٢) سورة المائدة الآية 44

3) تعريف الحوار: أصل كلمة حوار (ح- و- ر) بفتح الحاء و سكون الواو و له معاني عدة منها:

- الرجوع عن الشيء و إلى الشيء ، و منه قول الله سبحانه و تعالى ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَخُورَ﴾⁽¹⁾. و منه حديث: { من دعا رجلا بالكفر أو قال: عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه }⁽²⁾
- و في لسان العرب أنَّ الحور بفتح الحاء و سكون الواو و ضم الراء يعني الرجوع عن الشيء و إلى الشيء يقال حار إلى الشيء و عنه حورا و محارا و محارة رجوع عنه و إليه. و كُلَّ شيءٍ تغير من حال إلى حال فقد حار.
- و في أساس البلاغة: حاورته: راجعته الكلام، و هو حسن الحوار، و كلمته فما رد عَلَيَّ مُحَوَّرَةً⁽³⁾
- و قد ذهب آخرون إلى أن المعنى اللغوي لكلمة حوار هو : المجاورة و المجادلة والمراجعة⁽⁴⁾

و في القرآن الكريم لم يرد لفظ الحوار، و إنما ورد الفعل حاور و المصدر التحاور و ذلك في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم في الآيات التالية:

أولاً: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾⁽⁵⁾.

ثانياً: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾⁽⁶⁾.

(١) سورة الانشقاق الآية 14

(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر ، ج 1 ص 80 رح 61.

(٣) جار الله الزمخشري، أساس البلاغة ج 1 ص 221.

(٤) يحيى بن محمد زمزمي، الحوار آدابه و ضوابطه في ضوء الكتاب و السنة ص 32.

(٥) سورة الكهف الآية 34

(٦) سورة الكهف الآية 37

ثالثاً: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾⁽¹⁾.

اصطلاحاً

الحوار هو أن يتناول الحديث طرفان أو أكثر عن طريق السؤال و الجواب، بشرط وحدة الموضوع أوالهدف، فيتبادلان النقاش حول أمر معين، و قد يصلان إلى نتيجة و قد لا يقنع أحدهما الآخر ولكن السامع يأخذ العبرة و يُكَوِّنُ لنفسه موقفاً. (2)

و قيل هو محادثة بين شخصين أو فريقين ، حول موضوع محدد لكل منهما وجهة نظر خاصة به ، هدفها الوصول إلى الحقيقة أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق و جهات النظر بعيدا عن الخصومة أوالتعصب، بطريقة تعتمد على العقل و العلم، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة و لو ظهرت على يد الطرف الآخر(3)، و قيل الحوار هو أدب تجاذب الحديث بشكل عام. (4)

و نوى أن الحوار هو عملية نقاش بين طرفين يحاول كل منهما تسويق حديثه من منطلق ما يراه و يقتنع به، محاولا دعم موقفه ومراجعا لخصمه في منطقته وفكره، قاصدا بيان الحقائق و تقريرها من وجهة نظره.

(٣) تعريف القرآن: اختلفت آراء اللغويين حول أصل كلمة القرآن و تعددت، ويمكن حصرها في اتجاهين رئيسين (5):

- (١) سورة المجادلة الآية 1
- (٢) عبد الرحمان النحلاوي، أصول التربية الإسلامية و أساليبها ص 206.
- (٣) بسام عجك، الحوار الإسلامي المسيحي ص 20.
- (٤) ديماس محمد راشد، فنون الحوار و الإقناع ص 11.
- (٥) عبد الرحيم بن محمد المغزوي، التمسك بالقرآن الكريم و أثره في حياة المسلمين ص 10.

● "الأول: و هو الذي ذهب إلى أن القرآن اسم لكتاب الله تعالى، و أنه غير مشتق من أي مادة سواء من قَرَأَ أو من غيرها. و ذلك لأنه عَلِمَ لُكْتَابَ الله تعالى مثل التوراة و الإنجيل. و على هذا فالقرآن غير مهموز.

● الثاني: و هو الذي ذهب إلى أن لفظ القرآن مشتق، و أصحاب هذا الاتجاه

اختلفوا على أربعة أقوال:

- أولها: أن القرآن مصدر لقرأت كالتجحان و الغفران، سُمِّي به الكتاب المقروء من باب تسمية المفعول بالمصدر.

- ثانيها: هو مشتق من قرنت الشيء بالشيء: إذا ضممت أحدهما إلى الآخر.

- ثالثها: هو مشتق من القرائن لأن الآيات منه يُصدَّق بعضها بعضا و يشابه بعضها بعضا و هي قرائن.

- رابعها: هو وصف على فعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع، و منه قرأت الماء في الحوض أي جمعته.

و قيل سمي بذلك لأنه جمع السور بعضها إلى بعض " (1).

اصطلاحا

ذكر العلماء تعريفات كثيرة للقرآن الكريم منها ما يلي:

- "هو اسم للمتلوا المحفوظ المرسوم في المصاحف.

و قيل هو اسم لما بين الدفتين من كلام الله.

- و قيل هو الكلام المنزل على النبي صلى الله عليه و سلم من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس.

(1) المرجع السابق.

- و قيل هو كلام الله المنزل على خاتم الأنبياء و المرسلين، بواسطة الأمين جبريل

عليه السلام، المكتوب في المصاحف، المحفوظ في الصدور، المنقول إلينا

بالتواتر المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة و المختوم بسورة الناس " (1).

- "كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه و سلم بواسطة جبريل و الموجود بين
الدفنين" (2).

من خلال ما تقدم فالقرآن الكريم هو : كلام الله تعالى المعجز، الموحى به إلى محمد صلى الله عليه
وسلم لينذر به الخلق أجمعين، و يدعوهم إلى توحيد رب العالمين، و المكتوب بين دفتي المصحف
و المنقول إلينا بالتواتر، و المتعبد بتلاوته و المحفوظ بحفظ الله و المشتمل على خير الدنيا و الآخرة.

المحور الثاني دوائر الحوار في القرآن الكريم:

إن الحوار في القرآن الكريم يتسم باتساع دائرته و تعدد قضاياها، وشموله لما لا يحصى من الموضوعات.

فهناك محاورات بين الخالق سبحانه و تعالى و بين مخلوقاته من رسل و ملائكة، و هناك حوار بين الرسل
و الملائكة، و بين الرسل و أقوامهم، و كل تلك الحوارات الواردة في القرآن الكريم تسير في سياق
واحد ألا و هو توحيد الله سبحانه و تعالى و تصحيح المفاهيم و التصورات و المعتقدات الخاطئة.
و إجمالاً يمكننا أن نحدد أبرز دوائر الحوار فيما يلي:

(1) محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق فواز أحمد زمرلي ج 1 ص
20-18.

(2) محمد هشام بن سعد محمد طاهري، القرآن الكريم منزلته بين السلف و مخالفه دراسة عقديّة
ص 34.

● الدائرة الأولى: حوار الله سبحانه و تعالى مع الملائكة⁽¹⁾.

فأول من بدأ الحوار في إطار القرآن الكريم هم الملائكة عليهم السلام، و ابداً هذا الحوار عندما أخبر
الحق سبحانه و تعالى ملائكته أنه سيجعل في الأرض خليفة، فقال سبحانه و تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ
لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ
بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ

فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ
الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٢﴾

● الدائرة الثانية: حوار الله سبحانه و تعالى مع إبليس (3)

يعتبر هذا النموذج الحوارى فى القرآن الكرىم درسا علميا و فلسفة مهمة فى الحوار، فالله سبحانه
و تعالى الحق المطلق و الخير المطلق يحاور رمز الشر المطلق و الباطل المطلق و الذى هو إبليس لعنه
الله. و فى هذا الحوار درس مهم يبين لنا أن إمكانية الحوار قائمة حتى و لو كان هذا الحوار مع أشد
الأعداء و أظفهم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا
إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ
نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ
أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ *

(١) عبد الله عمر الصقهان، محمد بن عبد الله الشويعر، قواعد و مبادئ الحوار الفعال ص 61.

(٢) سورة البقرة الآية 30-33

(٣) قواعد و مبادئ الحوار الفعال ص 62

ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ
اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١﴾.

● الدائرة الثالثة: حوار الأنبياء مع أقوامهم

إن أبرز محاور الحوار و دوائره التى تحدث عنها القرآن الكرىم و فصلل فى ذكرها العديد من السور هو
ما وقع بين الأنبياء و أقوامهم من حوار و مناقشات فى مواضيع تتعلق بالعبقيدة تصحيحا و ترسيخا،
ويمكن اعتبار المساحة الحوارية فى القرآن الكرىم بين الأنبياء و أقوامهم من أوسع المساحات و يمكن
تقسيمها إلى مستويين (2):

المستوى العام: و هو ذلك العرض العام للدعوة و الذي يبرز فيه عادة النبي في مقابل الملاء و من ذلك قوله تعالى عن نوح ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾⁽³⁾

المستوى الخاص: و هو حينما يتوجه الحوار إلى شخص بعينه و قد يكون هذا الشخص إما:

(١) سلطة: و أبرز مثال في هذا المستوى الحوار

بين موسى و فرعون، و كذلك بين النمرود

وإبراهيم.

(٢) قرابة: و أبرز مثال في هذا المستوى الحوار بين

إبراهيم و أبيه و كذلك بين نوح وولده.

(١) سورة الأعراف الآيات 11-18

(٢) الدكتور مولاي عمر بن حماد، أستاذ الدراسات الإسلامية جامعة الحسن الثاني المحمدية، ثقافة

الحوار في القرآن الكريم، موقع ملتقى التفسير بتاريخ 18/6/2006

(٣) سورة الأعراف الآيات 59، 60

حوار الأنبياء في القرآن الكريم

ويشتمل على خمسة مباحث

المبحث الأول: حوار نوح عليه السلام مع قومه.

المبحث الثاني: حوار شعيب عليه السلام مع قومه.

المبحث الثالث: حوار صالح عليه السلام مع قومه.

المبحث الرابع: حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه.

المبحث الخامس: حوار لوط عليه السلام مع قومه.

المبحث السادس: حوار موسى عليه السلام مع فرعون.

في هذا الفصل نورد حوارات الأنبياء مع أقوامهم في القرآن الكريم ، وكما أسلفت الذكر في المقدمة، فالإحاطة بجميع حوارات الأنبياء مع أقوامهم في القرآن الكريم أمر صعب ولذلك سأقتصر على ذكر بعض النماذج وهم: نوح ، وشعيب ، وصالح ، وإبراهيم ، ولوط ، وموسى عليهم السلام . وقد يتساءل السائل فيقول لماذا هذه النماذج بالتحديد ؟ فنقول كل نموذج من هذه النماذج اختير لسبب، فاختيار نوح عليه السلام سببه أن هذا النموذج درس في الصبر و التضحية في الدعوة إلى الله لطول حياته التي عاشها في محاوره نخبه فكرية معينة وينبغي لكل محاور أن يتحلى بذلك، أما

اختيار شعيب عليه السلام، فلأنه نموذج للإصلاح الاجتماعي والاقتصادي وهذا النموذج يدل على أن مواضيع الحوار متنوعة، وأنها لا تقتصر على ما هو عقدي فقط، بل قد يكون العقدي أساساً وأرضية لمواضيع اجتماعية واقتصادية، وأما اختيار صالح عليه السلام فلأنه يمثل درساً في وجوب شكر النعمة لثلاث نزول، والشكر هو قيدها كما قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾⁽¹⁾، وأما اختيار إبراهيم عليه السلام، فلأنه درس في الولاء والبراء قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾⁽²⁾ وأما اختيار لوط عليه السلام فلأن هذا النموذج يعلم الداعية إلى الله عز وجل أن يركز على أصول الأمراض الموجودة في مجتمعه وأن يعنى بعلاجها، ويبين السبيل الصحيح للتخلص منها، وأما اختيار موسى عليه السلام فلأنه درس في القوة الإيمانية والقوة الحوارية، وهو نموذج حوارى بين طرف قوى الإيمان ونموذج يملك القوة المادية، فهذا دليل على أن الدعوة إلى حوار الآخرين لا تتوقف على ندبة القوة بقدر ما تستلزم قوة إيمانية.

كانت هذه إذن لمحة موجزة عن سبب اختيار هذه النماذج.

(1) سورة إبراهيم الآية 7.

(2) سورة الممتحنة الآية 4

المبحث الأول: حوار نوح مع قومه⁽¹⁾

اصطفى الله تعالى نوحاً عليه السلام واختاره ليكون نبياً ورسولاً، وأوحى إليه أن يدعو قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (2).

كان وداً و سواعاً و يعوق و يعوث و نسرأ رجلاً صالحين أحبهم الناس ، فلما ماتوا حزنا عليهم حزنا شديدا فاستغل الشيطان هذه اللحظة فوسوس لأصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم أن يصنعوا لهم تماثيل تخليدا لذكراهم، ففعلوا، فلما مرت سنوات، ومات الذين صنعوا تلك التماثيل وجاء آخرون بعضهم وسوس لهم الشيطان و أغواهم بأن جعلهم يعتقدون بأن تلك التماثيل هي آلهتهم فعبدوها من دون الله و انتشر الكفر بينهم. و قد روى البخاري (3) بسنده عن ابن عباس (4) : { أن هذه - ود، سواع، يعوث، يعوق، نسر - أسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام وكانوا لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم. فصوروهم، فلما ماتوا و جاء آخرون دب إليهم إبليس فقال : إنما كانوا يعبدونهم

(1) ابن كثير، البداية و النهاية، تحقيق ذ عبد الله بن عبد الله بن عبد المحسن التركي ج 1 ص 237 بتصرف.

(٢) سورة الأعراف الآية 59

(3) سير أعلام النبلاء ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه، الجعفي مولاهم، أبو عبد الله البخاري الحافظ إمام أهل الحديث من مؤلفاته: الأدب المفرد، التاريخ الكبير، التاريخ الصغير، الجامع الصحيح، المسند من حديث رسول الله و سننه و أيامه المعروف بصحيح البخاري. و كانت وفاته سنة 256 هـ.

(4) سير أعلام النبلاء ، عبد الله بن عباس بن عم النبي (ص) سمع النبي (ص) و روى عن جماعة من الصحابة ، و روى عنه سعيد بن جبير و سعيد بن المسيب و غيرهم، له تفسير رواه عنه المجاهد و رواه عن مجاهد حميد بن قيس و كانت وفاته سنة 68 هـ.

و يستقون المطر بهم، فعبدوهم} (1) فبعث الله نوحا عليه السلام يدعو قومه إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام، فقال لهم: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (2) فاستجاب لدعوته عدد من الفقراء و الضعفاء، أما الأغنياء و الأقوياء فقد رفضوا دعوته، كما أن زوجته و أحد أبنائه كفرا بالله و لم يؤمنا به، و ظل الكفار يعاندونه قائلين: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشْرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِرَأْيِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٣﴾ .

و لم ييأس نوح عليه السلام من عدم الاستجابة بل ظل يحاور قومه و ينصح لهم و يبين لهم أن المقياس الثابت للتفاضل هو التقوى، و لذلك رفع نوح عليه السلام من شأن أصحابه المؤمنين الذين نُعِتُوا بِالْحَسَنَةِ و الدناءة فقال للملأ الكافرين من قومه : ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (4) . و قال : ﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (5) فغضب قومه منه و اتهموه بالضلال وقالوا : ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (6) فأجابهم بأدب رفيع : ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (7)

(١) البخاري، صحيح بخاري كتاب التفسير باب وَدًّا وَلَا سُوَاعًا، وَلَا يَعْثُ وَيَعْثُوقَ، نوح الآية 23، ج3 ص273 رح71

(٢) سورة الأعراف الآية 59

(٣) سورة هود الآية 27

(٤) سورة الشعراء الآية 114

(٥) سورة هود الآية 30

(٦) سورة الأعراف الآية 60

(٧) سورة الأعراف الآية 61، 62

ورغم محاولاته عليه السلام في تبيان الحق لقومه إلا أنه كان يجدهم أكثر عنادا و أشد كفرا كلما دعاهم إلى الحق اتهموه بالكذب ووصفوه بالجنون قال الله تعالى : ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَجْحَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَعْرِفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ (1)، و قال أيضا : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فْتَرَتَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حَبِينٍ﴾ (2)، و رغم كل هذا الأذى واصل نوح عليه السلام دعوته لقومه صابرا محتسبا معتمدا على ربه في نشر دعوته، يدعوهم بالليل و النهار، و ينصحهم في السر و العلن

ويشرح لهم برفق و هدوء حقيقة دعوته التي جاء بها، إلا أنهم أصروا على كفرهم، و استمروا في استكبارهم و طغيانهم قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾⁽³⁾، و قال أيضا: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾⁽⁴⁾، وهكذا استمر نوح عليه السلام يدعو قومه يوما بعد يوم، و عاما بعد عام دون أن يزيد عدد المؤمنين، و كان إذا ذهب إلى بعضهم يدعوهم إلى التوحيد و يحدثهم عن الإيمان بالله يصدون عنه، قال تعالى: ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾⁽⁵⁾، و قال الكافرون له: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾⁽⁶⁾، فقال لهم عليه السلام: ﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ * وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾⁽⁷⁾.

(١) سورة الأعراف الآية 64

(٢) سورة المؤمنون الآية 25

(٣) سورة نوح الآية 5

(٤) سورة نوح الآية 8،9

(٥) سورة نوح الآية 7

(٦) سورة هود الآية 32

(٧) سورة هود الآية 33،34

و رغم حزنه عليه السلام لعدم استجابتهم و طلبهم للعذاب ، لم ييأس و ظل يدعوهم ومرت السنون دون أي نتيجة لحواراته معهم أو ثمرة لدعوته، فأتجه إلى ربه يدعو و يشكو له ظلم قومه لأنفسهم، فأوحى الله إليه: ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾⁽¹⁾. فلما آيس منهم بعدما ظل يدعوهم مدة ألف سنة إلى خمسين قال: ﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ * فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽²⁾ و دعا ربه، فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنْ

الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٣﴾ . فأمره الله عز وجل أن يصنع السفينة ، ولما أتم صنعها و عرف أن الطوفان سوف يبدأ، طلب من كل المؤمنين أن يركبوا السفينة و حمل فيها من كل زوجين اثنين، و بدأ الطوفان فأمرت السماء مطرا غزيرا، و تفجرت عيون الماء من الأرض فخرج الماء منها بقوة، فقال عليه السلام: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (4) و ما إن بدأت السفينة تطفوا على سطح الماء ورأى نوح ابنه وكان كافرا لم يؤمن بالله حتى انطلق الرسول و الأب و الداعية في المحاورة من جديد لعل ابنه يرجع إلى رشده: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحُ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ (5) إلا أن الابن امتنع و رفض تلبية نداء أبيه فقال مجيبا: ﴿سَأُوبِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ (6) ظنا منه أن الماء لن يصل إلى رأس الجبل لعلوه ، فقال له نوح عليه السلام : ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ (7). وفي ظل تلك الأجواء صدر الأمر الإلهي: ﴿وَقِيلَ يَا

(١) سورة هود الآية 36

(٢) سورة الشعراء الآية 117، 118

(٣) سورة نوح الآية 26، 27

(٤) سورة هود الآية 41

(٥) سورة هود الآية 42

(٦) سورة هود الآية 43

(٧) سورة هود الآية 43

أَرْضُ ابْلِغِي مَاءِكَ وَيَا سَمَاءُ أَفْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (1). فابتلعت الأرض الماء و توقفت السماء عن المطر، و رست السفينة على جبل يسمى الجودي (2) ، ثم أمر الله نوحا عليه السلام و من معه من المؤمنين بالهبوط من السفينة فقال سبحانه: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (3)، و ناشد نوح عليه السلام ربه في ولده، و سأله عن غرفه استفسارا واستخبارا عن الأمر،

وقد وعده أن ينجيه و أهله فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلِنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾⁽⁴⁾ ، و كان ابن نوح من الكافرين فلم يستحق رحمة الله، فامتثل نوح لأمر ربه و ظل يدعو المؤمنين، ويعلمهم أحكام الدين، و يكثر من الطاعات إلى أن توفي و لقي ربه.

(١) سورة هود الآية 44

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، جبل مظل على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من دجلة قرب الموصل ، باب الجيم والواو وما يليهما ج 2 ص 179.

(٣) سورة هود الآية 48

(٤) سورة هود الآية 46

المبحث الثاني

حوار شعيب مع قومه⁽¹⁾

كان يعيش على أرض مدين⁽²⁾، وهم قوم يقطعون الطريق، و يَسْلُبُونَ المارّة من الناس أموالهم ، ويعبدون شجرة كثيفة تسمى الأيكة، و كانوا يُسيئون معاملة الناس، و يغشّون في البيع و الشراء

والمكيال والميزان، و يأخذون ما يزيد عن حقهم ، فأرسل الله إليهم رجلا منهم وهو شعيب عليه السلام، دعاهم إلى عبادة الله و عدم الشرك به ونهاهم عن إتيان الأفعال الخبيثة، من نَقَصِ الناس أشياءهم، و سَلَبِ أموال القوافل التي تمر بديارهم ،وكان شعيب عليه السلام يتعامل مع قومه بواقعية في الحوار يدعوهم إلى الحق و يبينه لهم، و مع ذلك لم يؤمن به إلا عدد قليل و كفر منهم الكثير، وعلى الرغم من هذا فإنه لم ييأس من عدم استجابته بل أخذ يدعوهم و يذكر لهم نعم الله التي لا تحصى، و ينهاهم عن الغش في البيع والشراء، ولكن قومه لم يتقبلوا كلامه، و لم يؤمنوا به، بل قالوا له على سبيل الاستهزاء و التهكم : ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾⁽³⁾، فرد عليهم شعيب بعبارة لطيفة، يدعوهم فيها إلى الحق قال: ﴿يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَأَكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتِطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾⁽⁴⁾.

(١) البداية و النهاية ج 1 ص 429.

(٢) معجم البلدان ،مدينة قوم شعيب ، باب الميم والدادل وما يليهما ج 5 ص 77.

(٣) سورة هود الآية 87

(٤) سورة هود الآية 88

هكذا كان نبي الله شعيب قوي الحجة في دعوته إلى قومه، ثم قال لهم ليخوفهم من عذاب الله : ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِنْكُمْ بَعِيدٍ﴾⁽¹⁾. فأخذوا يهددونهم ويتوعدونهم بالقتل لولا أهلهم و عشيرته، قالوا : ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ﴾⁽²⁾، فقال لهم: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ

مُحِيطٌ ﴿٣﴾، ثم أخذ يهددهم ويخوفهم من عذاب الله إن استمروا على طريق الضلال و العصيان، وعند ذلك خيَّره قومه بين أمرين : إما العودة إلى دين الآباء و الأجداد، أو الخروج من البلاد مع الذين آمنوا معه، لكن شعبيا والذين آمنوا معه ظلوا ثابتين على إيمانهم و فوضوا أمرهم لله، فما كان من قومه إلا أن اتهموه بالسحر والكذب فقالوا : ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٤) ، وسخروا من توعدده إياهم بالعذاب، واستعجلوا العذاب فقللوا : ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٥)، فدعا شعيب عليه السلام ربه قائلاً : ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ (٦). أي أحكم بيننا وبين قومنا بالعدل وأنت خير الحاكمين.

(١) سورة هود الآية 89

(٢) سورة هود الآية 91

(٣) سورة هود الآية 92

(٤) سورة الشعراء الآية 185، 186،

(٥) سورة الشعراء الآية 187

(٦) سورة الأعراف الآية 89

فطلب الله سبحانه وتعالى من شعيب أن يخرج هو و من آمن معه لأن العذاب سينزل بأولئك المكذبين، فسلط الله على الكفار حرًا شديدًا جفَّت منه الزروع و الضروع و الآبار فخرج الناس يلتمسون النجاة، فإذا هم يرون سحابة سوداء فظنوا أنها تحمل أمطار الرحمة فقالوا : ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّطْرُنَا﴾ (١) فتجمعوا تحتها حتى إذا أظلمتهم أنزلت عليهم حممًا حارقة، و نيرانا ملتهبة فلحرقتهم جميعا، واهتزت الأرض وأخذتهم صيحة أزهقت أرواحهم قال تعالى في وصف ذلك : ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ

أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ * مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٢﴾ فحولتهم إلى جفت
هامدة لا حراك فيها و لا حياة. و نبأ الله شعيباً ومن معه من العذاب الأليم، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ
أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ
جَاثِمِينَ * كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا آلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ ﴿٣﴾

(١) سورة الأحقاف الآية 24

(٢) سورة الذاريات الآية 41، 42،

(٣) سورة هود الآية 94-95

المبحث الثالث : حوار صالح مع قومه⁽¹⁾

في منطقة الحجر⁽²⁾ كانت تعيش قبيلة مشهورة تسمى ثمود، يرجع أصلها إلى سام بن نوح، و كانت
لأولئك القوم حضارة عمرانية واضحة المعالم، فقد نحتوا الجبال و اتخذوها بيوتا، يسكنون فيها شتاء
وتحميهم من الأمطار و العواصف التي تأتي إليهم من حين إلى آخر و اتخذوا من السهول قصورا
يقيمون فيها صيفا قال تعالى : ﴿وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأْنَاكُمْ فِي الْأَرْضِ أَنْتَحِدُونْ

مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣﴾ . وأنعم الله سبحانه وتعالى عليهم بنعم كثيرة لا تعد و لا تحصى ، فأعطاهم الأرض الخصب و الماء العذب الغزير، والحدائق و النخيل، و الزروع و الثمار، لكنهم قابلوا النعمة بالجحود و النكران، فكفروا بالله سبحانه و تعالى ولم يشكروه على نعمه ، فعبدوا الأصنام و جعلوها شريكا له يقدمون إليها القرابين، و يذبحون لها الذبائح تضرعا لها، وأراد الله سبحانه وتعالى هدايتهم، فأرسل إليهم نبيا منهم و هو صالح عليه السلام، يدعوهم بالحكمة و يحاورهم بالحسنى ليعبدوا الله وحده لا شريك له و يتركوا ما هم فيه من عبادة الأصنام ، فكان الحوار كالاتي: قال عليه السلام: ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (4) . فرفض قومه ذلك وقالوا: ﴿ يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ (5) .

(١) البداية و النهاية ج 1 ص 304.

(٢) معجم البلدان، منطقة تقع بين الحجاز و الشام تسمى الآن بمدائن صالح وهي اسم لدير ثمود، باب الحاء والجيم وما يليهما ج 2 ص 220.

(٣) سورة الأعراف الآية 74

(٤) سورة الأعراف الآية 73

(٥) سورة هود الآية 62

فهم يقولون له يا صالح قد كنت بيننا رجلا فاضلا كريما محبوبا نستشيرك في جميع أمورنا لعلمك وصدقك، فماذا حدث لك ، ثم يتهمونه في خبث و لؤم بالجنون وعدم رجاحة عقله: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ (1) . و رغم هذه الإتهامات كلها التي وجهت لنبي اله صالح عليه السلام لم يقابل إساءتهم بإساءة مثلها ولم ييأس من عدم استجابتهم له، بل ظل يتمسك بدين الله رغم كلامهم، و يدعوهم إلى عبادة الله وحده، و يذكرهم بما حدث للأمم السابقة و ما حل بها من العذاب جزاء كفرهم وعنادهم و أخذ يذكرهم بنعم الله عليهم قائلا: ﴿ أَتُنْكِرُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾ (2) ودعاهم إلى الاستغفار و التوبة إلى الله فقال: ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا

لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ
بُحِيْبٌ ﴿٣﴾ . فأمنت طائفة به وهم من الفقراء و المساكين، و كفرت به طائفة و هم الأغنياء الذين
استكبروا و كذبوا دعوته قائلين: ﴿أَبَشْرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ * أُؤَلِّقِي الذُّكْرَ عَلَيْهِ
مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ﴾ (4) و حاولت الطائفة الكافرة ذات يوم أن تصرف الذين آمنوا بصالح
عن دينهم و تجعلهم يشكون في رسالته فقالوا لهم: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ (5) . أي هل
تأكدتم أنه مرسل من الله؟ فأعلنت الطائفة المؤمنة تمسكها بما أنزل على صالح و بما جاء به من ربه،
و قالوا: ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (6) . فقال لهم الذين كفروا: ﴿إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (7) .

1) سورة الشعراء الآية 153

2) سورة الشعراء الآية 146-148

3) سورة هود الآية 61

4) سورة القمر الآية 24، 25

5) سورة الأعراف الآية 75

6) سورة الأعراف الآية 75

7) سورة الأعراف الآية 76

و لما رأى صالح إصرارهم على الضلال و الكفر قال: ﴿يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي
وَأَتَانِي مِنْهُ رَحْمَةٌ فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ (1) . و كان صالح عليه
السلام يخاطب قومه بأخلاق الداعي و آدابه الرفيعة فيدعوهم بالحكمة و الموعدة الحسنة تارة،
ويجادلهم تارة أخرى، مؤكدا على أن عبادة الله هي الحق، و الطريق المستقيم. لكن قومه تهادوا في
كفرهم و أخذوا يدبرون له المكائد و الحيل حتى لا يؤمن به أكثر الناس، فبينما هو في حوار مستمر
قصد بيان نعم الله الكثيرة و وجوب شكر المنعم و حمده عليها، ما زالوا يتحدونه عليه السلام أن
يأتيهم بمعجزة أو آية تثبت صحة رسالته فسألهم عن المعجزة التي يريدونها، فأشاروا على صحرة

بجوارهم وقالوا له أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة طويلة عُشْرَاء ، و أخذوا يصفون الناقة المطلوبة
ويعددون صفاتها بغية إعجازه ، فقال لهم صالح أرايتم إن أحببتكم إلى ما سألتم أتؤمنون بي
وتصدقونني وتعبدون الله الذي خلقكم؟ فقالوا نعم و عاهدوه على ذلك، فقام عليه السلام وصلى الله
سبحانه و تعالى ثم دعا ربه أن يجيبهم إلى ما طلبوا. و ما هي إلا لحظات حتى تحققت المعجزة فآمن
بعضهم و استمر أكثرهم على الكفر و الضلال، ثم أوحى الله إلى صالح أن يأمر قومه بأن لا يتعرضوا
للناقة بسوء: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَدُرُّوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ
الْيَوْمِ﴾ (2)، استمر الحال على هذا وقتا طويلا و الناقة تشرب ماء البئر يوما و هم يشربون يوما قال
تعالى: ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ (3). و كانت في اليوم الذي تشرب ولا
يشربون يجلبونها فتعطيهم لبنا يكفيهم جميعا، لكن الشيطان أغواهم، فزين لهم طريق الشر فتجاهلوا
تحذير صالح لهم و اتفقوا على قتل الناقة قال تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي

(١) سورة هود الآية 63

(٢) سورة الأعراف 73

(٣) سورة الشعراء الآية 155

الأرضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (1) فعقروا الناقة و خالفوا أمر نبيهم و سخروا منه و استهزؤوا به فأوحى الله
إليه أن العذاب سيلحقهم جزاء فعلتهم قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا *
فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدمدمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا
يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ (2). قال صالح لقومه: ﴿مَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرِ مَكْدُوبٍ﴾ (3).
ومرت الأيام الثلاثة و خرج الكافرون صباح اليوم الثالث ينتظرون ما سيحل عليهم من العذاب وفي
لحظات جاءتهم صيحة شديدة من السماء و هزة عنيفة من الأرض فزهقت أرواحهم، و أصبحوا في
دارهم مهلكين قال الحق سبحانه: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ *

وَأُنَجِّنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٤﴾ . و بعد أن أهلك الله الكافرين من ثمود، وقف صالح عليه السلام ومن معه من المؤمنين ينظرون إليهم، فقال صالح عليهم السلام: ﴿يَا قَوْم لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ (٥) ، و لقد مر النبي صلى الله عليه و سلم على ديار ثمود و هو ذاهب إلى تبوك سنة تسع من الهجرة، فأمر أصحابه أن يمرروا عليها خاشعين خائفين، كراهة أن يصيبهم ما أصاب أهلها ، { قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْمُعَذِّبِينَ أَصْحَابِ الْحِجْرِ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ } (٦) و أمرهم بعدم دخول القرية الظالمة و عدم الشرب من ماءها.

(١) سورة النمل الآية 48

(٢) سورة الشمس الآية 11-15

(٣) سورة هود الآية 65

(٤) سورة النمل الآية 52، 53

(٥) سورة الأعراف الآية 79

(٦) الإمام أحمد، المسند ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد و آخرون إسناده صحيح على شرط الشيخين ،رح5225.

المبحث الرابع

حوار إبراهيم مع قومه⁽¹⁾

كانت ولادة إبراهيم عليه السلام في عهد النمرود بن كنعان ، وكان حاكما مستبدا جبارا استغل جهل قومه فنصَّب نفسه إلهًا لهم ، ودعا الناس إلى عبادته فأطاعوه ، وفي ظل هذه الأجواء ولد سيدنا إبراهيم عليه السلام فوجد أباه غارقا في براثن الشرك حاله من حال قومه ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَّرَ أَنْتَ خِدْمَةَ أَصْنَامًا أَلَهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٢) ، واختلف المؤرخون في اسم أبيه أ تارح أم آزر ، والصحيح أن اسمه آزر والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : ﴿ويلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة ، وعلى وجه آزر قتره وغبرة ...﴾ (٣) وقد ذكر القرآن الكريم لدعوة

إبراهيم عليه السلام ثلاث مراحل ، نوجزها فيما يلي :

أولاً : دعوته لأبيه ، وقد صورتها أبلغ تصوير آيات سورة مريم حيث يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَرِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ (4)

لقد كانت كلمات إبراهيم تفيض حناناً وشفقة وتندفق عطفاً ورقة ، إذ بين لأبيه أن ما يعبده فاقد

(١) البداية و النهاية ج 1 ص 324 ، 342، 407 بتصرف

(٢) سورة الأنعام الآية 74

(٣) البخاري، صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى : وَأَتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، ج2ص321 رح8

(٤) سورة مريم الآيات 41 - 48

لأوصاف الربوبية من السمع والبصر فضلاً عن الخلق فكيف يضر أو ينفع؟ ثم أردف ذلك ببيان ما قد أوتي من علم وحكمة ، وأن دعوته قد بُيِّتَ عليهما ففي إتباعه سلوك الصراط السوي ، ثم حذر من عدو البشرية الذي تلبس بمعصية الرحمن ، فهو جدير بأن يُتَّخَذَ عدواً وأن لا يطاع ، ثم أعلمه بشدة خوفه عليه من أن يمسه عذاب من الرحمن فيكون ولياً للشيطان ، وأمام هذه الدعوة الحانية الرفيقة المتزنة نسمع عبارات الأب الفجّة الغليظة التي تمثل صورة التقليد الأعمى وإغلاق القلب عن النظر والتأمل ، ومع ذلك كله فإن الابن البار لم يواجه تلك السيئة إلا بالتي هي أحسن فقال لأبيه : ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾ (1) كحال عباد الرحمن الذين إذا خاطبهم الجاهلون قالوا : ﴿سَلَاماً﴾ (2) بل وعد بالاستغفار لأبيه ، وذلك قبل أن يتبين له أنه عدو لله ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ (3) ثم قرر اعتزاله ليراجع الأب نفسه، ولينأى إبراهيم بنفسه عن الشر ومواطنه، وكانت رحمة الله لإبراهيم أن

عوضه بأبناء صالحين برة.

ثانياً: دعوته لقومه. بعد أن دعا إبراهيم أباه لقربه توجه بالدعوة إلى قومه ، وكانوا فيما قبل قسمان ، منهم من يعبد الأصنام ، ومنهم من يعبد الكواكب ، وقيل : إنهم كانوا يعبدون الكواكب ويصورون أصناماً على صورها يعبدونها ، وقد أبطل عليه السلام كلاً المعبودين بالأدلة القطعية ، وبَيَّنَّ لهم أنها لا تملك لهم رزقاً ، ثم أخبرهم بأنه مُبَلَّغٌ لا يستطيع هدايتهم إلا بإذن الله ، ولفت أنظارهم إلى أن مصيرهم إن لم يستجيبوا للدعوة مصير أمثالهم فقد سبقهم على ذلك أمم ولحقهم من ربهم من النكال والعذاب ما لا يخفي عليهم ، قال تعالى: ﴿وإبراهيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ

(١) سورة مريم الآية 47

(٢) سورة الشعراء الآية 63

(٣) سورة التوبة الآية 114

ذِكْمٌ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَإِن تَكْذَبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١﴾ . ولقد سلك إبراهيم في إقناع قومه مسلك المساءلة عن جدوى أصنامهم ، هل تنفع أو تضر أو تسمع الدعاء ، فما وجد إلا الإصرار على التبعية العمياء قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَافِيَةً * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُم إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُم أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ فما كان من إبراهيم إلا أن أعلن البراءة مما هم عليه، وأوضح سبب ذلك وسبب قصره العبادة على الله : ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ... الآيات﴾ (٣) وبدأ القوم يراوغون فيما عرضه عليهم إبراهيم فما كان من إبراهيم إلا أن أعلن التَّكْيِيرَ ، وبيان الحق فعلاً لا قولاً فحسب ، ودخل بهذا مرحلة خطيرة من مراحل

إقناع القوم بعدم جدوى أصنامهم وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ * قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (4) لم يكتف القوم بهذه المراوغة مع إبراهيم بل دعوه للخروج معهم إلى عيد من أعيادهم لكنه اعتذر عن الخروج قال تعالى: ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ (5) وقال عند

(١) سورة العنكبوت الآيات 16-18

(٢) سورة الشعراء الآيات 69-74

(٣) سورة الشعراء الآيات 75-80

(٤) سورة الأنبياء الآيات 51-56

(٥) سورة الصافات الآيات 88-90

ذلك: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ (1) فسمعها بعض القوم ، وبادر إبراهيم ﴿فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا هُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَدُكُرُّهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ (2) لقد ورَّطهم إبراهيم في هذه الإجابة وهذا ما كان يريده ليندفع بكل قوة مخاطبا عقولهم إن كانت لهم عقول: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (3) وهنا لم يجد القوم بُدًّا من تدبير المؤامرة عليه والتخلص منه: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (4).

ثالثا: دعوته للملك، حين ناظره في ربه وذلك فيما حكاه الله تعالى عنهم في سورة البقرة فقال: ﴿أَلَمْ

تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: ... ﴿٥﴾ ، وهذه المناظرة كانت بعد نجاة الخليل من النار كما ذكره السدي (٦) ويدل عليه: أن العادة جارية بأن الأنبياء يبدءون بتكوين قاعدة شعبية حتى يكون للدعوة ثقل ثم يلتفتون إلى القيادة ليدعوها ، وأيضاً فمن عادة

(١) سورة الأنبياء الآية 51

(٢) سورة الأنبياء الآيات 58-65

(٣) سورة الأنبياء الآيات 66،67

(٤) سورة الأنبياء الآيات 68-70

(٥) سورة البقرة الآيات 258

(٦) سير أعلام النبلاء ، السدي هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الإمام المفسر أبو محمد الحجازي ثم الكوفي الأعور توفي سنة 127هـ

خصوم الدعوة مُلاحقَةً الداعية وإحراجَهُ أمام الناس خصوصاً وأن إبراهيم بعد نجاته من النار بمعجزة التفتت إليه الأنظار وتعجَّب الناس من ربه الذي نَجَّاهُ فبادر الملك إلى مناظرته ليوقعه في الحرج ظناً منه أن إبراهيم قد ينهزم في المناظرة ، وما علم أنه مُؤَيَّدٌ من عند الله وهو سيد المناظرين والمجادل عن حوزة التوحيد وحمى الملة بكل ألوان الجدل. فلقد جادل الملك إبراهيم في ربه ، فطلب مره أن يقيم له الدليل على وجود الرب الذي يدعو إليه ، فقال إبراهيم : ربي الذي يحيي ويميت أي أن الدليل على وجوده هو: هذه المعجزة المتكررة الظاهرة ، معجزة الحياة والموت ، عندئذ قال الملك أنا أحيي وأميت فلهر برجلين استحسناً القتل فأمضيه في أحدهما دون الآخر ، وقال قد أحييت الثاني ، وأمت الأول ، وهذه مكابرة صريحة، وعناد ظاهر ، يعلمه كل ذي عقل ، ولذلك ترك إبراهيم الخوض معه في مكابرتة ، وجاءه بواقعة أكبر لا يستطيع معها التحايل ، فقل : إن الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب أي إذا كنت قادراً على الإحياء

والإمامة، وهما من صفات الرب ، فيلزم أن يكون بمقدورك التصرف في الكون ، وأن تأتي بالشمس من المغرب ، عندئذ بهت الذي كفر . " فلنتقال إبراهيم من دليل إلى آخر دون مناقشة لإجابة الملك الساذجة ليس عن هزيمة ؛ لأن حجته كانت قائمة ، إذ إبراهيم وكل عاقل يعلم أن المراد حقيقة الإحياء والإمامة ، أما ما فعله الملك فأمر يقدر عليه كل أحد ، حتى إبراهيم كان يمكن أن يقول له : إني أردت حقيقة الإحياء والإمامة ، أما هذا فأنا أفعل مثله ، ولكن إن قدرت على الإمامة والإحياء فأمت هذا الذي أطلقته من غير استخدام آله وسبب ، وأحي هذا الذي قتلته ، فيظهر به بهت اللعين ، إلا أن القوم لما كانوا أصحاب ظواهر ، وكانوا لا يتأملون في حقائق المعاني خاف إبراهيم الاشتباه والالتباس عليهم ، فضم إلى الحجّة الأولى حجّة ظاهرة ، لا يكاد يقع فيها أدنى اشتباه. وهذا الانتقال من أحسن ما يكون ، لأن المحاجج إذا تكلم بكلام يثيق على سامعيه فهمه ، ولجأ الخصم إلى الخداع والتلبس جاز له أن يتحول إلى كلام يدركه السامعون ، وأن يأتي بأوضح مما جاء به ، ليثبت ما يريد إثباته ، وهذا لأن الحجج مثل الأنوار ، وضم حجة إلى حجة كضم سراج إلى سراج ، وهذا لا يكون إلا دليلا على ضعف أحدهما أو بطلان أثره" (1). وفي ظل هذا التعنت في قبول الدعوة وعدم الإيمان بما جاءهم به من الحق قرر إبراهيم عليه السلام الهجرة إلى أرض غير أرضه تقبل كلمته وتؤمن بدعوته قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ (2) فهاجر عليه السلام وأخذ ينتقل من مكان إلى مكان آخر يدعو الناس إلى عبادة الله و إلى طريقه المستقيم. و ﴿قد سئل الرسول صلى الله عليه و سلم عن خير البرية فقل: ذاك إبراهيم﴾ (3) و قال تعالى عنه مادحا له و مثنيا عليه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (4). وقد فضل الله إبراهيم عليه السلام في الدنيا و في الآخرة فجعل النبوة فيه و في ذريته إلى يوم القيامة قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (5). و

إبراهيم عليه السلام من أولي العزم من الرسل، ووصى الله نبيه محمد صلى الله عليه و سلم أن يسير على ملته قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽⁶⁾

(١) الخضيرى محمد بن عبد العزيز، معيد سابق بقسم الدراسات القرآنية بكلية المعلمين بالرياض، دعوة إبراهيم عليه السلام في القرآن ، موقع صيد الفوائد

(٢) سورة النحل الآيات 120-123

(٣) مسلم، صحيح مسلم نسخة الشاملة ، كتاب الفضائل باب من فضائل إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ، ج 4 ص 1839 رح 2369

(٤) سورة العنكبوت الآية 27

(٥) سورة الأنعام الآية 161

(٦) سورة النحل الآية 123

وقال كذلك ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽¹⁾. وظل إبراهيم عليه السلام يتقرب إلى الله سبحانه و تعالى و يدعو الناس إلى عبادته إلى أن لقي ربه.

المبحث الخامس

حوار لوط مع قومه (1)

هاجر لوط مع إبراهيم عليه السلام إلى مصر و مكث فيها مدة من الزمن ثم عادا إلى فلسطين، و في الطريق استأذن لوط إبراهيم ليذهب إلى أرض سدوم (2) حيث اختار الله لوطا ليكون نبيا إلى أهل هذه الأرض، فأذن له إبراهيم و ذهب لوط إلى سدوم وتزوج هناك.

و كانت أخلاق أهل تلك البلدة سيئة، فكانوا لا يتعففون عن فعل المعصية، و لا يستحيون من المنكر، و يخونون الرفيق، و يقطعون الطريق و فوق هذا كله كانوا يفعلون فاحشة ما سبقهم بها أحد من العالمين، إذ كانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء، و أخذ لوط عليه السلام يدعوهم إلى الإيمان و ترك الفاحشة، قائلا: ﴿إِلَّا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا

خَلَقَ لَكُمْ رُبُكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿٣﴾ لكرهم لم يستجيبوا لدعوته، و تكبروا عليه، و سخروا منه، و مع ذلك لم يقطع حوارهم بل ظل صابرا على قومه يدعوهم بكل حكمة و موعظة حسنة و أدب جم إلى عبادة الله وحده و عدم الإشراف به، و ينهاهم و يحذرهم من إتيان المحرمات و اقتراف الفواحش و فعل المنكرات، لكنهم قالوا له بكل تبجح و قسوة و سخرية: ﴿أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (4) و لم يكتفوا بذلك بل هددوه بالطرده من القرية لأنه كان

(١) البداية والنهاية ج 1 ص 408 بتصرف.

(٢) معجم البلدان ، مدينة من مدائن قوم لوط ، ، باب السين والذال وما يليهما ج 3 ص 200

(٣) سورة الشعراء الآيات 161-166

(٤) سورة العنكبوت الآية 29

غريبا في قومه، فغضب لوط من قومه وابتعد عنهم هو و من آمن به من أهل بيته إلا زوجته، التي كفرت دعوته و انحازت إلى قومها و وشاركتهم في مضايقته و الاستهزاء به، و ضرب الله بها مثلا في الكفر فقال تعالى : ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةً نُوحٍ وَامْرَأةً لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُعْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ (1) إذ خان لوطا عليه السلام فكفرت و لم يؤمن بالله. ثم أرسل الله ثلاثة من الملائكة على صورة ثلاثة رجال هيئتهم حسنة، فمرؤوا على إبراهيم فظن أنهم بشر فقام على الفور و ذبح لهم عجلا سمينا لكنهم لم يأكلوا منه، و بشرت الملائكة إبراهيم بأن الله سبحانه سوف يرزقه ولداً من زوجته سارة ثم أخبرته الملائكة أنهم ذاهبون إلى قرية سدوم لتعذيب أهلها و عقابهم على كفرهم و معاصيهم، فأخبرهم إبراهيم بوجود لوط في هذه القرية، فطمأنته الملائكة بأن الله سينجيهم و أهله إلا زوجته لأنها كفرت بالله.

و خرجت الملائكة من عند إبراهيم متوجهين إلى القرية فلما وصلوا إلى بيت لوط و كانوا في صورة شُبَّانٍ حَسَانٍ، فلما رأهم لوط خاف عليهم و لم يُعْلِمَ أحداً بقدمهم لكن امرأته علمت بقدمهم فخرجت و أخبرت قومه و قالت: إن في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط، فجاء القوم

بسرعة إلى بيت لوط ييغون الفاحشة مع هؤلاء الضيوف، و اجتمع قوم لوط و ازدحموا عند باب بيته و هم ينادون بصوت عال أن يخرج لهم هؤلاء الضيوف، و كل منهم يعني نفسه بالمتعة والشهوة الحرام مع هؤلاء الرجال، فمنعهم لوط من دخول البيت و من الهجوم و الاعتداء على

(١) سورة التحريم الآية 10.

ضيوفه، فقال لهم: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾^(١) و أخذ يُدَكِّرُهُمْ بأن الله خلق النساء فهن أزكى لهم و أطيب، و لكن قوم لوط أصروا على الدخول و لم يجد لوطا من بينهم رجلا عاقلا يبين لهم ما هم فيه من الخطأ فقال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾^(٢) عندئذ كشف الضيوف عن حقيقتهم، وأخبروا لوطا بأنهم ليسوا بشرا و إنما هم ملائكة من السماء جاءوا لتعذيب هؤلاء القوم الفاسقين و ما هي إلا لحظات حتى اقتحم قوم لوط البيت على الملائكة فأشار أحد الملائكة بيده ناحيتهم ففقد القوم أبصارهم و راحوا يتخبطون بين الجدران، ثم طلبت الملائكة من لوط أن يرحل مع أهله عندما يقبل الليل، لأن العذاب سينزل على قومه في الصباح، ونصحوه ألا يلتفت هو و لا أحد من أهله خلفهم عندما ينزل العذاب حتى لا يصيبهم. و في الليل خرج لوط وابتناه و تركوا القرية و ما إن غادروها حتى انشق الصباح فأرسل الله العذاب الشديد على القرية فاهتزت القرية هزة عنيفة و تزلزلت الأرض، و اقتلع ملك بطرف جناحه القرية بما فيها و ارتفع بها حتى سمع أهل السماء نباح كلابها ثم انقلبت القرية رأسا على عقب، وجعل الهو عاليها سافلها وأمطر عليهم من السماء حجارة ملتهبة تحرقهم، و أحاط بهم دخاناً خانقاً يشوي وجوههم و أجسامهم. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ مَّنصُودٍ * مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾^(٣).

(١) سورة الحجر الآية 68

(٢) سورة هود الآية 80

(٣) سورة هود الآية 82، 83.

و نَجَّا اللهُ لوطًا ومن آمن معه برحمة منه سبحانه، لأنهم حفظوا العهد، و شكروا النعمة و عبدوا الله وحده و كانوا خير مثال للعقّة و الطهارة، و أصبحت قرية سدوم عبرة و عظة لكل الأجيال القادمة، قال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾^(١).

المبحث السادس: حوار موسى مع فرعون⁽¹⁾

كان يعيش في مصر ملك جبار طاغية يعرف بفرعون استعبد قومه و طغى عليه و قسم رعيته إلى عدة أقسام، استضعف طائفة منهم، و أخذ في ظلمه و استخدامه في أخس الأعمال شرفا و مكانة، و هؤلاء هم بنو إسرائيل الذين يرجع نسبهم إلى نبي الله يعقوب عليه السلام و قد دخلوا مصر عندما كان سيدنا يوسف عليه السلام وزيرا عليها.

وفي أحد الأيام حدث أن فرعون كان نائما فرأى في منامه كأن نارا أقبلت من بيت المقدس فأحرقت مصر جميعها إلا بيوت بني إسرائيل، فلما استيقظ خاف و فرغ من هذه الرؤيا فاستدعى كهنته وسحرته و سألمهم عن تلك الرؤيا فأخبرهم أن غلاما سيولد في بني إسرائيل يكون سببا لهلاك أهل مصر، ففزع فرعون من هذه الرؤيا العجيبة و أمر بقتل كل مولود ذكر يولد في بني إسرائيل، خوفا من أن يولد هذا الغلام. و مرت السنوات، و رأى أهل مصر أن بني إسرائيل قل عددهم بسبب قتل الذكور الصغار فخافوا أن يموت الكبار مع قتل الصغار فلا يجدون من يعمل في أراضيهم، فذهبوا إلى فرعون وأخبروه بذلك، ففكر فرعون ثم أمر بقتل الذكور عاما و تركهم عاما آخر.

فولد هارون في العام الذي لا يقتل فيه الأطفال، أما موسى عليه السلام فقد ولد في عام القتل، فخافت أمه عليه، و قررت أن تضعه في مكان بعيد عن أعين جنود فرعون الذين يترصون من كل مولود لبني إسرائيل لقتله، فأوحى الله إليها أن ترضعه و تضعه في صندوق، ثم ترمي هذا الصندوق في نهر النيل إذا جاء الجنود، قال تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (2).

(١) البداية والنهاية ج 2 ص 31، 81، 117

(٢) سورة القصص الآية 7

ف فعلت ذلك فقدر الله سبحانه و تعالى أن يترى هذا الطفل في أحضان الرجل الذي كان يريد أن يقتله خوفا منه على ملكه... و بينما موسى عليه السلام يسير بأهله تجاه مصر راجعا من مدين حتى حل عليهم الظلام فجلسوا يستريحون من أثر هذا السفر، على أن يكملوا المسير بعد ذلك في الصباح، وكان الجو شديد البرودة فأخذ موسى يبحث عن شيء يستدفئون عليه فرأى نارا من بعيد فطلب من أهله الانتظار، حتى يذهب إلى مكان النار و يأتي منها بشيء يستدفئون به.

توجه موسى يحمل عصاه ناحية النار التي شاهدها و لما وصل إليها سمع نداء يقول : ﴿فَلَمَّا أَنَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي * إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ * فَلَا يَصُدُّنَكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ﴾ (1). ثم سأله الله عز وجل عما يحمله في يمينه قال موسى : ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ (2) فأمره الله عز و جل أن يلقي هذه العصا، فألقاها فانقلبت و تحولت إلى ثعبان كبير ففزع موسى من الأمر، فأمره الله عز وجل أن يعود و لا يخاف، و سوف تعود العصا كما كانت أول مرة. و كان موسى أسمر اللون فأمره الله عز و جل أن يدخل يده في ثيابه ثم يخرجها، فخرجت

بيضاء ناصعة البياض، فكانت هاتان المعجزتان من الله لنبيه موسى كإعداد و استعداد لمقابلة فرعون وملائته فلما ذهب موسى مع أخيه هارون إلى فرعون قاما بدعوته إلى الله، و إخراج بني إسرائيل معهم، لكن فرعون استهزأ بهما و سخر منهما و مما جاء به، و ذكّر موسى بأنه هو الذي ربّاه في قصره و ظل يرعاه حتى قتل الرجل القبطي و فرّ هاربا، فأخبره موسى أن الله قد هداه و جعله نبيا،

(١) سورة طه الآيات 11-16.

(٢) سورة طه الآية 18

لكي يدعوه إلى عبادة الله و طاعته لكن فرعون لم يستجب له، فأراد موسى أن يسلك مسلكا آخر معه في الحوار فعرض عليه أن يأتيه بدليل يبين له صدق رسالته. فطلب فرعون منه الدليل إن كان صادقا فألقى موسى عصاه فتحولت إلى حية كبيرة، فخاف الناس و فزعوا من هذا الثعبان، فمد موسى يده إليها وأخذها فعادت عصا كما كانت ثم أدخل يده في جيب قميصه ثم أخرجها فإذا هي بيضاء للناظرين.

لكن فرعون أعلن في قومه أن موسى ساحر، فأشار عليه القوم أن يجمع السحرة في كل مكان لمواجهة موسى و سحره، على أن يكون هذا الاجتماع يوم الزينة، و كان هذا اليوم عيد فرعون وقومه، حيث يجتمع الناس جميعا، في مكان فسيح أمام قصر فرعون للاحتفال فسارع فرعون في إعلان الموعد لجميع الناس، ليشهدوا هذا اليوم الذي سينظر فيه موسى سحرة فرعون فتسابق الناس إلى ساحة المناظرة فرفع فرعون يده إنيانا ببدء المناظرة وعرض السحرة على موسى أحد أمرين، إما أن يلقي عصاه أولا أو أن يلقوا عصيهم فترك لهم موسى البداية فألقوا حبالهم وعصيهم فسحروا أعين الناس، و تحولت جميع الحبال و العصي إلى حيات تتحرك أمام أعين الحاضرين فخاف الناس مما يرونه أمامهم حتى موسى و هارون عليه ما السلام هالهما هذا الأمر، فأوحى الله لموسى أن لا يخف و يلقي عصاه ففعل فإذا بها تحولت إلى حية عظيمة تبتلع حبال السحرة و عصيهم ولما رأى السحرة ذلك

علموا أنها معجزة من معجزات الله و ليست سحرا فسجدوا لله معلنين إيمانهم برب موسى و هارون
قال تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (1).

(١) سورة الشعراء الآيات 46-48.

و هنا اشتد غيظ فرعون و أخذ يهدد السحرة بقوله: ﴿أَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي
عَلَّمَكُمُ السَّحَرَ فَلَا قُطْعَانَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَلْبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَيُّنَا
أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ (1). لكن السحرة لم يخافوا من كلامه و تهديداته فقالوا: ﴿لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا
جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا
لِيُعَذِّبَنَا لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ
جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا * وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا *
جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ (2). فغضب فرعون وأصدر
أوامره بقتل أبناء الذين آمنوا بموسى و ترك نسائهم ،فتسلل الخوف إلى قلوب الضعفاء منهم فلم
يؤمنوا بهم خوفا من فرعون و بطشه،ولما رأى موسى ما أصاب قومه من خوف و هلع توجه إلى الله
بالدعاء أن ينجيه والمؤمنين معه من كيد فرعون. و ذات يوم جمع فرعون أعوانه و عشيرته و أعلن لهم
نيته قتل موسى عليه السلام و ما إن انتهى من كلامه حتى قال رجل من قومه و عشيرته كان قد آمن
بموسى سرا: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ
كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (3) ،
لكن فرعون أعرض و لم يستمع إلى نصيحته ،و استمر في تعذيب بني إسرائيل و تسخيرهم في
العمل، فنزل بفرعون و قومه أنواع من البلاء ،فغشيهم الطوفان فلغرق زروعهم و ديارهم ، و أكل
الجراد ما بقي من زروعهم وأشجارهم... ومرت الأيام و البلايا تزداد يوما بعد يوم فذهب المصريون

إلى فرعون يشيرون عليه أن يطلق سراح بني إسرائيل مقابل أن يدعو موسى ربه أن يكشف ذلك
الضر عنهم، ويشفع لهم عند ربه فدعا موسى ربه و انكشف عنهم العذاب و البلاء.

(١) سورة طه الآية 71.

(٢) سورة طه الآيات 72-76

(٣) سورة غافر الآية 28

لكن فرعون زاد في عناده وكفره وتمادى في غيئه و جحوده و كذب بكل الآيات التي جاء بها موسى
عليه السلام فأيقن موسى أن النقاش والحوار مع فرعون لن يجدي نفعا فدعا الله أن يخلص بني
إسرائيل من يد فرعون وجنوده وأن يعذب الكفلو بالعذاب المهين .

الفصل الثاني:

منهج الأنبياء في حوارهم مع أقوامهم

ويشتمل على ثلاثة مباحث

المبحث الأول: الأساليب المنهجية المشتركة في حوارات الأنبياء مع أقوامهم.

المبحث الثاني: استنتاجات منهجية من حوارات الأنبياء مع أقوامهم.

المبحث الثالث: ملامح الحوار الناجح من خلال مناهج الأنبياء في حوارهم مع أقوامهم.

المبحث الأول

الأساليب المنهجية المشتركة في حوارات الأنبياء مع أقوامهم

تعددت الأساليب المنهجية في حوارات الأنبياء وتنوعت ونركز في هذا المبحث على الأساليب المنهجية المشتركة بينهم.

● الدعوة إلى التوحيد:

إن التوحيد من أهم القضايا و أبرزها بل هو أساس دعوة الأنبياء، و هو الغاية التي سعى إليها أنبياء الله عليهم الصلاة و السلام و بعثوا من أجلها قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾⁽¹⁾ فلأنبياء و الرسل نادوا جميعه م بشعار التوحيد والآيات التي تناولت موضوع التوحيد عديدة وكثيرة نورد منها ما يلي:

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾⁽²⁾ وقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁽³⁾ وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾⁽⁴⁾ وقوله

تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (5)
وقوله تعالى: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (6) وقوله تعالى :

(١) سورة النحل الآية 36

(٢) سورة البقرة الآية 163

(٣) سورة آل عمران الآية 18

(٤) سورة النساء الآية 87

(٥) سورة الأنعام الآية 102

(٦) سورة الأنعام الآية 106.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (1) وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (2) وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (3) وقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (4) وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (5) وقوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (6) وقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَتَوَاكُم﴾ (7) وقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (8)

فكل هذه الآيات تدل على أن جانب التوحيد نال الحيز الأكبر والأهم من دعوة الأنبياء عليهم السلام.

(١) سورة الأعراف الآية 158

(٢) سورة التوبة 31

(٣) سورة هود الآية 14

(٤) سورة طه الآية 14

(٥) سورة الأنبياء 25

(٦) سورة الأنبياء 87

(٧) سورة محمد الآية 19

(٨) سورة الحشر الآيات 22-24

● التدرج في الحوار:

إن التدرج سنة كونية في كثير من أمور الحياة، و سبب أساس في قبول الناس لأي توجيهات أو أوامر لم يعتادوها من قبل و من ذلك، تحريم شرب الخمر مثلا فتحريمها مر بمراحل عدة قبل أن تصل إلى التحريم النهائي. قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾⁽¹⁾ ثم جاء الأمر الإلهي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾⁽²⁾ ثم جاء الأمر الإلهي بالتحريم النهائي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾⁽³⁾.

و دعوات الأنبياء عليهم الصلوات و السلام جاءت على حين فترة ،حين اندثرت تطبيقات الشرائع على الأرض وزاغ الناس عن الصراط و ابتعدوا عن التوجه الصحيح للخالق وحده، فانصرفوا إلى عبادة غيره و التقرب منه ،إما جهلا ،و إما تقليدا ،لذلك كان الأنبياء عليهم السلام يعتمدون التدرج

منهجا في مخاطبتهم و مناقشاتهم و حواراتهم مع أقوامهم حتى يخرجونهم من الظلمات و الكفر والشرك إلى نور الإيمان و التوحيد.

ومن الأمثلة على ذلك حوار إبراهيم عليه السلام مع النمرود في سورة البقرة قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي

(١) سورة البقرة الآية 219

(٢) سورة النساء الآية 43

(٣) سورة المائدة الآية 90، 91

وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾^(١)، فإبراهيم عليه السلام في حوارهِ و محاجَّجَتِهِ للملك تدرج في إقامة الحجة عليه، لإثبات توحيد الألوهية و الربوبية عن طريق إثبات بعض أوجه التصرف فيما لا يُقدَّرُ عليه إلا الله الحق فبدأ بأمر الحياة و الموت، و هي حجة واضحة يدركها كل عاقل، و هي أن الرب هو الذي يحيي و يميت، فإن كان أحد يعلم بالضرورة أنه لا يستطيع أن يحيي الموتى فكيف له أن يكون ربا، فلذلك ابتداء إبراهيم الحجة بدلالة عجز الناس عن إحياء النفس و إمامتها لأن ذلك بيد الله ثم لما لم يفهم النمرود مقصد إبراهيم عليه السلام من الإحياء و الإمامة لم يشأ عليه السلام الاسترسال معه في جدال لن يفضي إلى نتيجة خاصة و أن النمرود يماري و يدور في تلك الحقيقة الهائلة المتعلقة بمنح الحياة و سلبها.

عندئذ قرر إبراهيم عليه السلام أن يعدل عن هذه السنة الكونية إلى سنة أخرى أمثل و أوضح، فعدل عن طريقة العرض المجرد للسنة الكونية و الصفة الإلهية: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾^(٢). إلى طريقة التحدي: ﴿يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾^(٣). فهو تدرج عليه السلام من دليل قد يتطرق إليه احتمال المراوغة من الخصم إلى دليل لا يمكن لمحاوليه أن يعترض عليه و لا يستطيع ذلك و لذلك كانت النتيجة: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾^(٤).

ونرى هذا الأسلوب - التدرج - حاضر بقوة عند باقي الأنبياء في دعواتهم ، فنوح عليه السلام يركز على مواجهة العقيدة الفاسدة التي تفتشت في قومه وينفي الشريك عن الله ويبين لهم خطأ ما هم

(١) سورة البقرة الآية 258.

(٢) سورة البقرة الآية 258.

(٣) سورة البقرة الآية 258.

(٤) سورة البقرة الآية 258..

فيه من التعلق بالآلهة دونه قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١) فنوح عليه السلام بدأ بدعوتهم إلى توحيد الله وعدم الإشراك به متلطفًا في خطابه ومبينًا لهم أنه يخاف عليهم ، ثم انتقل إلى لفت أنظارهم إلى الخطأ الذي هم فيه من عبادة غير الله وأخذ يعدد نعم الله وآلاءه عليهم قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا * أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا * وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ (٢) ثم بعد أن علم أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن دعا ربه أن يهلك الكافرين فلا خير فيهم قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ (٣)

ولوط عليه السلام يُقَوِّمُ في أمته السلوك والأخلاق ، ويواجه الشذوذ الجنسي وتنفسي الفواحش والمنكرات قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٤)

وصالح عليه السلام يواجه الفساد والمفسدين قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا * وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (٥)

(١) سورة الأعراف الآية 59

(٢) سورة نوح الآية 13-20

(٣) سورة نوح الآية 26،27

(٤) سورة العنكبوت الآية 28،29

(٥) سورة الشعراء الآية 150-152.

وشعيب عليه السلام يُبَلِّغُ أمر الله في الأموال والبيوع ، وينادي فيهم ألا يطففوا وألا يخسروا الموازين والمكاييل ، وأن يعرفوا حق الله في أموالهم قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ * وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (1)

وموسى عليه السلام عالج في قومه الطاغوتية المتمثلة في فرعون ، وقام يحررهم من استعباده لهم قال تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ * فَأَتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ * فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (2)

(١) سورة الشعراء الآيات 177-183

(٢) سورة الشعراء الآيات 15-22.

● البدء بالقضايا الكبرى

يعتمد الحوار كحل من أوجه الحلول للإقناع بقضية ما ، وكوجه للتقريب بين وجهات النظر في أي موضوع من الموضوعات ، ولذلك ينبغي أن يبدأ في الحوار بالقضايا الكبرى .

وكان الأنبياء عليهم السلام في حوارهم مع أقوامهم يبدءون بالقضايا الكبرى كالتوحيد وعبادة الله وحده لخطورتها وبالغ أهميتها ، ثم يتدرجون معهم في الإقناع عند باقي القضايا الأخرى .

وإذا ما تأملنا في القرآن الكريم نجد أن أنبياء الله دائما ما يبدءون حواراتهم مع أقوامهم بقضية كلية - هي كبرى القضايا - عبادة الله وحده، قال تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (1)

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (2)

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (3)

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (4)

إذن كل الحوارات التي دارت بين الأنبياء وأقوامهم تناولت عدة قضايا: عبادات، وتشريعات، وسلوكيات...، لكنّها تُصدَّر حوارها بالقضية الأكبر والمتجلية في التوحيد الذي يجعلونه مقدمة

٢) سورة الأعراف الآية 65

٣) سورة الأعراف الآية 73

٤) سورة الأعراف الآية 85.

للقضايا التي يدعون إليها فهو الغاية التي من أجلها خلقوا، قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾⁽¹⁾ ومن أجلها بعثوا إلى الناس قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾⁽²⁾ ، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾⁽³⁾ فالأنبياء عليهم السلام يشتركون جميعهم في هذا المنهج إذ ينطلقون منه كأساس نحو قضايا أخرى تأتي مباشرة بعد قضية التوحيد.

(١) سورة الذاريات الآية 56

(٢) سورة الأنبياء الآية 25

(٣) سورة النحل الآية 36.

● المزاوجة بين الترغيب والترهيب

إن الترغيب والترهيب من أهم وأبرز الأساليب التي اعتمد عليها الأنبياء في حواراتهم مع أقوامهم، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١) وقال أيضا: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾^(٢)

وقال سبحانه وتعالى كذلك: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٣)

وقال كذلك: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(٤): " وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين أي بالترغيب والترهيب ، مبشرين بسعة الرزق في الدنيا والثواب في الآخرة يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٥)، ومعنى منذرين : مخوفين عقاب الله فالمعنى : إنما أرسلنا المرسلين لهذا لا لما يقترح عليهم من الآيات ، وإنما يأتون من الآيات بما تظهر معه براهينهم وصدقهم"^(٦).

(١) سورة الأنعام الآية 48

(٢) سورة الكهف الآية 56

٣) سورة البقرة الآية 213

٤) سورة النساء الآية 165.

٥) سورة الأعراف الآية 96

٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ج7 ص253

وهذه الآيات الكريمة التي تتحدث عن هذا الأسلوب القرآني النبوي مجملة ، وهناك الكثير من الآيات القرآنية التي فصّلت وبيّنت حال الأنبياء في دعواتهم لأقوامهم ، ومنها : عن نوح عليه السلام ، قال تعالى : ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (1) وقال سبحانه : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (2)

وقوله تعالى على لسان شعيب عليه السلام : ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ (3) ففي قوله هذا بيان لما هم عليه من فضل ونعم ، وسعة في المعيشة والرزق ، ثم بين لهم أنه يخاف عليهم من سلب ما هم فيه نتيجة المعصية والذنوب .

ومن الأمثلة الأخرى، ما جاء في قوله تعالى : ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ * وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ (4)

فالأنبياء عليهم السلام استخدموا في حوارهم لإقناع أقوامهم بدعوتهم أسلوب الترغيب والترهيب، ولا شك أن المزاجية بينهما له فائدة عظيمة ووقع كبير في الإقناع بما يرحوه النبي والرسول من قومه واستقرار ذلك في نفوسهم.

(١) سورة الأعراف الآية 63

(٢) سورة نوح الآية 2،1

(٣) سورة هود الآية 84

(٤) سورة هود الآية 90،89

● الاعتماد على الأدلة

من الأمور الواجب توفرها في الداعية و المحاور ألا يقرر مسألة أو يذكر أمراً إلا و له عليه دليل واضح قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽¹⁾.

فالاعتماد على الأدلة أو الاستدلال هو من الأساليب المنهجية المشتركة في حوارات الأنبياء مع أقوامهم و يُستعمل كمنهج لإثبات أو نفي أمرٍ ما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾⁽²⁾. و تتنوع هذه الأدلة بين ما هو عقلي و نقلي أو حسي أو تاريخي:

* مثال الدليل العقلي:

هذا الأسلوب عمد إليه الأنبياء عليهم السلام كمنهج أصيل في بيان دعوتهم و الدفاع عن مصداقيتها، مخاطبين عقول أقوامهم بهدف هدم باطل ما كان عليه آباؤهم حتى يتسنى لهم القبول بدعوة التوحيد ويبدو ذلك جليا في حواراتهم مع أقوامهم و من الأمثلة على ذلك نموذج نوح عليه السلام الذي استدلل بخلق السموات و الأرض فقال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا * أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا * وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾⁽³⁾ و من الأمثلة كذلك قول إبراهيم عليه السلام لأبيه ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا

(١) سورة يوسف الآية 108

(٢) سورة البقرة الآية 111

(٣) سورة نوح الآيات 13-20

أَبَتْ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُعْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿١﴾. فلا شك أن آزر يعلم أن الأصنام هي مصنوعة من حجارة و من صنع يده، فكيف يرفعها في مقام الألوهية و يضع نفسه و قومه موضع العبودية لها وهي من صنعهم.

ومن الأمثلة كذلك مبدأ مخاطبة الناس على قدر عقولهم من أسباب نجاح أي تواصل مع الغير قول موسى عن فرعون عندما سأله عن ربه : ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ (2)، و قوله: ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (3).

*مثال الدليل التاريخي:

كما يمكن أن يكون الدليل تاريخيا و من الأمثلة على ذلك قول شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ (4). فهو يستخدم التسلسل التاريخي بعرضه لسير الأقسام السابقون وما حلَّ بها من العذاب

*مثال الدليل الحسي:

كما يمكن أن يكون الدليل حسيا ملموسا و من الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (5)

(١) سورة مريم الآية 42

(٢) سورة الشعراء الآية 24

٣) سورة الشعراء الآية 28

٤) سورة هود الآية 89

٥) سورة الأعراف الآية 73

ومنها قول موسى لفرعون: ﴿أَوْلُو جِحْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾⁽¹⁾، أي أولو أيتك بدليل حسي ملموس،
فطالبه فرعون بهذا الدليل ، فقال: ﴿فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾⁽²⁾ ، عند ذلك ألقى موسى
دليله الحسي المعجز قال تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ
لِلنَّازِحِينَ﴾⁽³⁾

إذن من خلال ما سبق نستشف أن اعتماد الأدلة و تنوعها يكون له الوقع و الأثر الكبير في إنجاح
عملية الحوار.

(١) سورة الشعراء الآية 30

(٢) سورة الشعراء الآية 31

(٣) سورة الشعراء الآية 32، 33.

● استخدام الجانب الوجداني:

إن القرآن الكريم إلى جانب مخاطبته للعقل يخاطب الوجدان كذلك، و لقد كان الأنبياء عليهم السلام يهتمون بالجانب الوجداني في حوارهم مع أقوامهم إذ يعملون على تحريك عواطفهم من خلال إبراز حرصهم على هدايتهم و تقديم النصح لهم و الإشفاق عليه من عذاب الله.

فهذا نوح عليه السلام يخاطب قومه مبرزاً حرصه عليهم و خوفه عليهم من أن يطالهم عذاب من الله قائلاً لهم: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَوْمِ﴾^(١).

و هذا مشهد آخر لإبراهيم عليهم السلام تجلت فيه كل مقومات الرفق و الرحمة في مخاطبة الوجدان و القلب و هو يحاور أباه مصدراً حواراً لقوله - يا أبت - محاولاً هدايته إلى الخير الذي اهتدى هو إليه، و قيادته إلى الطريق الصحيح قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾^(٢)، فإبراهيم عليه السلام وإن كان أصغر من أبيه سنّاً و أقلّ تجربةً منه إلا أن الله قد منّ عليه بعلم: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾^(٣).

و بيّن له خوفه عليه وحرصه على أن يهتدي و ينجو من براثن الشرك، فقال: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾^(٤)، و رغم أن آزر لم يستجب لولده وهدده بالرجم والهجر: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾^(٥)

(١) سورة هود الآية 26

(٢) سورة مريم الآية 42

(٣) سورة مريم الآية 43

٤) سورة مريم الآية 45

٥) سورة مريم الآية 46

إلا أن إبراهيم عليه السلام رد بكل رفق و رحمة فيقول بكل عطف: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾⁽¹⁾

إذن استخدام الجانب الوجداني في الحوار يبقى ذا أثر كبير و فاعلية في إقناع المحاور للمحاور في الوقت الذي قد يرفضه ضد العقل.

المبحث الثاني: استنتاجات منهجية من حوارات الأنبياء مع أقوامهم

● التسلح بالقوة الإيمانية في الحوار:

قبل الدخول في الحوار: لا بد من التسلح بالقوة الإيمانية التي تجعل المحاور لا ينتصر لذاته، وإنما لسمو و قدسية الرسالة التي يحملها، و الهدف النبيل الذي يكافح في الدعوة من أجله، و تجعله يتحمل كل ما يلقاه و يعترضه من أذى بصبر و ثبات و ثقة بنفسه، و اعتقاد جازم بمصداقية قضيته، لأنه كلما كان مقتنعا بمصداقية قضيته التي يدعوا إليها و يحاور من أجل الإقناع بها كان أوفر حظا في نجاح حوارته مع الآخر و إقناعه بما يؤمن به و يدعوا إليه.

أثناء الحوار: لاشك أن الأنبياء عليهم السلام أثناء حوارهم مع أقوامهم مرّت بهم الشدائد والمحن، إلا أنهم قابلوها بقوة إيمانية عظيمة تتجلى في توكلهم و يقينهم بالله والثبات على الحق.

وهاهو ذا نوح عليه السلام مكث قرونا يدعوا قومه ويقابلونه بسخرية و ينصبوه العداوة ، و يكيدون به كيداً و يمكرون به مكرأ فيقابل كيدهم و مكرهم و جمعهم بقوة الإيمان و التوكل على الله قال تعالى: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّ كَانَ كَبْرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ عُمَّةً ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُون﴾^(١) ، فتقته بالله العظيمة واعتماده عليه جعله لا يهاب جمعهم ، ولا يخش كيدهم، وأعطاه شحنة قوية للاستمرار في دعوتهم.

وهاهو ذا الخليل إبراهيم عليه السلام يتبرأ من شرك قومه وهو يعلم ما قد أضمره له من شر ، وما قصدوه به من بطش ، ولام يكن معه سلاح يواجهه به كيدهم إلا التوكل على الله تعالى فقال عليه السلام داعيا ربه عز وجل: ﴿رَبَّنَا عَلَيْنِكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^(٢)

وهاهو ذا شعيب عليه السلام يقابل تكذيب قومه وصدودهم وتهديديهم بإعلان التوكل على الله تعالى: فقال عليه السلام: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾^(١) وقال أيضا: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾^(٢)

وهاهو ذا موسى عليه السلام يواجه أعتى طاغية عبد لذاته الناس وامتحنهم على ذلك بالقتل والتعذيب، حتى مس المؤمنين منه بلاء شديدا ، وأصابهم كرب عظيم ، فدعاهم موسى عليه السلام للتوكل على الله فهو الحصن الذي يتحصنون به من الفتنة والطُّوق الذي ينجون به في شدة البلوى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ * فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَبِحَنَّا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^(٣) فكانت عاقبة التوكل على الله والإيمان بعظيم قدرته سببا للنجاة. فكل هؤلاء الرسل عليهم السلام تسلحوا بقوة الإيمان و بينوا لنا أن المؤمن قوته في توكله على ربه ويقينه التام بتوفيقه و نصره له، و أن كل حاجة سواء أن كانت عامة أم خاصة فإنما تقضى بالإيمان والعمل الصالح.

• التحلي بروح المبادرة:

إن الناظر إلى الحوارات الواردة في القرآن الكريم بصفة عامة و حوارات الأنبياء بصفة خاصة و التأمل فيها يجد عبارات تتكرر مثل: قل يا قوم تعالوا فالحاورُ عليه أن يتحلى بروح المبادرة و أن يمتلك زمام الأمور و أن يكون حريصاً على أداء رسالته الربّانية و لا ينتظر استعلام و سؤال غيره عن بضاعته لأنه مسئولٌ عن بيان الهدى و طريق الخلاص^(١) ، فالأخذ بالمبادرة إلى جانب التركيز الشديد في توضيح الموضوع المراد مناقشته و التهاور فيه و بيان الغاية منه، يسفر عن نتيجة إيجابية: إما بظهور الحق، كمثل مؤمن آل فرعون الذي قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾^(٢) وإما بعجز الخصم كمثل حادثة النمرود مع إبراهيم عليه السلام الذي عجز عن أن يأتي بالشمس من المغرب فكانت النتيجة عجزه و ظهور ضعفه كما وصفه الله سبحانه و تعالى في قوله: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾^(٣) ، و إما بتسليم الطرف المحاور بالاعتراف بالحق و الإذعان له كمثل السحرة الذين تبين لهم أن ما جاء به موسى الحق فقالوا: ﴿أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾^(٤).

إذن من خلال ما سبق يتبين لنا أن على الطرف المحاور أن يمتلك زمام الأمور و أن يتحلى بروح المبادرة إن أراد كسب رهان الدعوة التي يحاورُ من أجلها مع حرصه على الاتصاف و الالتزام بقوة أخلاقية تسهل مهمته في الحوار دون انجراف أو ابتعاد عن الثوابت و المبادئ التي يؤمن بها قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^(٥) ، فالحوار الهادف و السابق اللين المحسوب بالاستدلال يجعل المحاور قادراً على إدارة الحوار بروية و اتزان.

(١) رحمانى إسحاق، دراسة عن أسلوب الحوار في القرآن الكريم، منتدى النور للدراسات الحضارية والفكرية

(٢) سورة غافر الآية 28

(٣) سورة البقرة الآية 258

● ختم الحوار بهدوء مهما كانت النتائج

لا شك أنه أثناء الحوار قد تتحرك الطبائع الكاملة في نفس الإنسان و قد يعتلي الحوار نوع من الجدل المذموم الذي يُفقد الحوار هدوءه و توازنه، فيُعَلِّي الدم في قلبه، و يُعْضِبُهُ على خصمه و يغلب الانفعال بعد ذلك على جوِّ الحوار، فيؤدي ذلك إلى حدة الجدل حتى يصل لمرحلة التشنجات في العبارات و الألفاظ فتكون النتيجة خروج أطراف الحوار من دائرة التحوار و المناقشة إلى دائرة السخرية و التهكم و تبادل التهم.

وهنا يبرز دور المحاور الجيد في إبعاد الحوار عن كل تلك الأجواء المشحونة التي تمزق العلاقات و تنفّر القلوب، فينأى بنفسه عن الاستجابة للأطروحات المتشنجة و مقابلة ذلك بالعقلانية و الاتزان و قد صور لنا القرآن الكريم هذا المنهج الرائع في العديد من السور و الآيات نذكر منها على سبيل الإجمال:

قول الله تعالى: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ * قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللّٰهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾⁽¹⁾.

فهذه الآية "تبرز لنا الحوار النبوي الهادئ و المتزن، الذي يقابل تشنج قومه معه و تدمرهم منه وتضجرهم و عدم قابليتهم بالاستجابة لدعوته بكل لطف و يختار بكل عناية لفظ نصح عوضاً عن كلمة جدال، ليبين لهم في هدوء و رفق أن ما قاله لهم أولى بأن يسمى نصحاً و ليس جدالاً"⁽²⁾

(٢) زمزمي يحيى بن محمد ، أستاذ مشارك بكلية الدعوة وأصول الدين جامعة أم القرى مكة المكرمة، الحوار القرآني في سورة نوح دراسة تحليلية ص 29.

و قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾⁽¹⁾ تبين لنا هذه الآية أنه بعد أن سلك إبراهيم عليه السلام مع أبيه آزر كل السبل و لم يجد من أبيه استجابة و إنما قابله بحوار عنيف فقال له: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ أَهْلِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾⁽²⁾، لكن إبراهيم عليه السلام لما استنفذ جميع وسائله في إقناع أبيه بدعوته ختم حوارهم بكل هدوء و رفق ورحمة فقال لأبيه: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾⁽³⁾.

و قوله تعالى على لسان شعيب عليه السلام الذي قابل الاستهزاء و التهكم بعبارة لطيفة و هادئة: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنِّي أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتِطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾⁽⁴⁾، فهدوء النفس و طهارة القلب و عفة اللسان هي من سمات الداعية الصادق، و الهدوء مطلوب حتى مع أكثر المتحاورين عنفا كما قال الله تعالى ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾⁽⁵⁾ فالتشجيع و الانفعال ليس هو الأسلوب الأمثل لنصر الحق، لأن القلب المشحون بالغضب يؤثر تأثيرا بالغاً على انفعالات الإنسان التي تطغى أحيانا على عقله و منطقته فالغضب " نوع من العَلَقِ و الإغلاق الذي يُغَلِّقُ على صاحبه باب حسن التصور و القصد"⁽⁶⁾.

(١) سورة مريم الآية 47

(٢) سورة مريم الآية 46

(٣) سورة مريم الآية 47

(٤) سورة هود الآية 88

(٥) سورة طه الآية 43، 44

من خلال كل ما سبق نستنتج أن الحوار إذا صار جادا وفق هذا المنهج من قبل جميع الأطراف، فلا بد أن يصلوا جميعا إلى ما التزموا به في بداية الحوار من الرجوع إلى الحق و تأييد الصواب، فإذا رفض المحاورُ الحجج و لم يقتنع بها فلا يسعُ محاورُهُ في هذه الحالة إلا أن ينهي الحوار كما بدأ بكلِّ هدوءٍ دون حاجةٍ إلى التوترِ و الانفعالِ كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾⁽¹⁾، و قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾⁽²⁾.

إذن لا يمكن لمن لا يسيطر على نفسه أن يسيطر على الآخرين أو يخضعهم للحق الذي معه، مهما كان واثقا من صحة و صدق أفكاره، فإنه إن لم يخضع نفسه و يخبطها تعذر عليه أن ينقل أفكاره إلى الغير⁽³⁾

(1) سورة هود الآية 35

(2) سورة القصص الآية 55

(3) يحيى زمزمي، الحوار آدابه و ضوابطه في ضوء الكتاب و السنة ص 259/ابن قيم الجوزية إعلام الموقعين ج 1 ص 166

المبحث الثالث: ملامح الحوار الناجح من خلال مناهج الأنبياء في حوارهم مع أقوامهم

في هذا المبحث نسلط الضوء على مقومات الحوار الناجح من خلال مناهج الأنبياء في حوارهم مع أقوامهم .

● الإعداد الجيد للحوار

إن عملية الحوار هي عملية جدلية يسعى كل طرف من الأطراف المتحاورين من خلالها إلى إقناع الآخر بما يراه هو حقا من وجهة نظره ، وحتى يتمكن المحاور من ذلك لابد من توافر عدة عناصر تجعله يصل إلى إقناع محاوره بمبدئه الذي يؤمن به وقضيته التي يدافع عنها ، وهذه العناصر عبارة عن أدوات ومهارات تستخدم في عملية الحوار ومن هذه الأدوات مايلي :

1 - فهم شخصية الخصم :

من المفيد أن تفهم شخصية من تحاوره قبل الشروع بحوار معه ، حتى تدرك طبيعته ، وتستشف أسلوبه ، وتعرف خلفيته ومرجعياته ، وهل هو من الذين يجاوزون بالعقل أم بالعاطفة أم بغير ذلك ، فتستطيع أن تتعلم منهجه وتحدد أنثذ الأسلوب والمنهج الذي ستسلكه معه وسيأتي بفائدة ، كما قيل قديما : " كِلْ لِكُلِّ عِبْدٍ بِمَعْيَارِ عَقْلِهِ ، وَزِنْ لَهُ بِمِيزَانِ فَهْمِهِ ، حَتَّى تَسَلَّمَ مِنْهُ وَيَنْتَفِعَ بِكَ ، وَإِلَّا وَقَعَ الْإِنْكَارُ لِتَفَاوُتِ الْمَعْيَارِ " (1) .

2 - ترتيب الأفكار:

من الجيد كذلك الحرص على ترابط الأفكار وتسلسلها لأن ذلك يُسهِّلُ عملية استذكارها وعدم نسيانها ، لأنه كثيرا ما يفشل خير المحاورين في حوار بعض البسطاء بسبب عرضه لأفكار متعددة في

(1) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين الباب الخامس في أدب المتعلم و المعلم بيان وظائف المرشد المعلم ج 1 ص 57.

توضيحه لقضية بسيطة فتزدحم الأفكار في ذهن ذلك البسيط فيضطرب إدراكه، ولو أنه تم الاكتفاء بفكرة أو فكرتين لكان أرحى لإدراكه وأيسر لفهمه وأقرب لاستيعابه⁽¹⁾.

و إلى جانب ما سبق فمن عوامل ومقومات الحوار الناجح كذلك ما جاء في قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام : ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾⁽²⁾ فقد ورد في الآية الكريمة عاملان مهمان في عملية الإعداد الجيد والكامل للحوار وهما:

1 - سعة الصدر - اشرح لي صدري - إذ لهذا الأمر أثره الكبير في الاستعداد النفسي للحوار، وحماسه للقضية، وتقبله لما قد يجده من محاوره من غلظة وجفاء.

2 - فصاحة اللسان - احلل عقدة من لساني يفقهوا قولي - فصاحة اللسان وحسن المنطق لهما الأثر الكبير في الإقناع ، وتغيير القناعات السابقة تجاه أي قضية ، ولذلك قد يخسر المحاور قضيته بسبب قوة خصمه في هذا الجانب وإن كان الحق معه .

(1) إحياء علوم الدين ، فصل الحكمة في الجمع بين الماء و التراب في حكم التطهير ج 2 ص 119 ، 120.

(2) سورة طه الآيات 25-32

● براعة الاستهلال في فتح باب الحوار

براعة الاستهلال أو حسن الاستهلال هو ابتداء الكلام بما يناسب المقصود، ويلخص المراد، لأي خطاب وله أثره في إنجاح الحوار وجذب المستمع وانتزاعه من مشاغله وأسْرِ فؤاده وتشويقه وجعله منتبهاً ومنتبهاً لكل مجريات الحوار.

والمتتبع لحوارات الأنبياء مع أقوامهم من خلال القرآن الكريم يجد هذا الأسلوب حاضراً بقوة في مخاطبتهم ومناقشتهم معهم، فيصدرون حواراتهم بألفاظ مختارة بعناية لها أثرها الكبير في حسن التواصل مع أقوامهم.

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء على لسان نوح عليه السلام الذي كان يذكر قومه بأصرة القرابة في افتتاحه الحوار معهم في سورة الأعراف، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾ إذ عبر في ندائه بكلمة قوم ليبين لهم أنه ناصح لهم وما يريد بهم إلا خيراً وأنه مشفق عليهم ، فكلمة - قوم - التي افتتح بها أكثر الأنبياء خطاباتهم وحواراتهم لأقوامهم كلمة رقاقة تهيئ نفوسهم لحوار ايجابي لما تحمله من التحبيب والتقريب .

(١) سورة الأعراف الآيات 59-62

● الانطلاق من الأمور المشتركة

من الأساليب المعينة على إنجاح عملية الحوار ، الانطلاق من الأمور المشتركة المتفق عليها بين المتحاورين ، ولذلك ينبغي عند بدء الحوار أن يتجنب المتحاورون عرض نقاط الاختلاف لأن ذلك يخرج الحوار عن مساره وينحى به منحى آخر تكون فيه نصرته غرور النفس أولى من نصرته الحق وإظهاره ، وبالنظر إلى القرآن الكريم نجد عند حوار المخالفين في العقيدة يبدأ بعرض الأمور البديهية ويؤكد عليها والتي تكون عبارة عن مسلمات تلزمهم بالإيمان بما أنكروه أوّل الأمر كما قال تعالى :

﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ يَمْلِكُ مِنْ يَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيزُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾⁽¹⁾. أي " قل لهُؤلاء المكذبين الذين ينكرون البعث ، العادلين بالله غيره ، محتجا عليهم بما أثبتوه وأقروا به من توحيد الربوبية ، وانفراد الله بها ، على ما أنكروه من توحيد الألوهية والعبادة ، وبما أثبتوه من خلق المخلوقات العظيمة ، على ما أنكروه من إعادة الموتى ، الذي هو أسهل من ذلك " ⁽²⁾ والذي أنكروه سابقا بقولهم: ﴿قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾⁽³⁾. وفي حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه نجده يركز على أمرٍ مشتركٍ يكون بداية لانطلاقه في الحوار والمناقشة مع قومه حول الربوبية واستحقاق العبودية ، وأن المستحق لهذا الأمر لا بد وأن يكون عظيما ، وهذا أمر يتفق عليه إبراهيم وقومه، ولذلك ارتكز عليه الحوار

(١) سورة المؤمنون الآيات 84-89

(٢) السعدي عبد الرحمن بن لصر ، تيسير كريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق و مقابلة عبد الرحمن بن معلا اللويحق ص 557.

(٣) سورة المؤمنون الآيات 82،83

كانطلاقة ثم تدرج معهم في هذا المبدأ وسار معهم في هذا الاتجاه قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ نُرِيْهِمْ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا

رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْإِفْلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ ليبين لهم أن الكبير العظيم لا يمكن أن يأتي عليه نقص بأي وجه من الوجوه ، وأن الإله الحق لا بد أن يكون كاملا وبذلك أقام على قومه الحجة وغلبهم في نتيجة الحوار حيث قام البرهان الصادق الواضح على بطلانه . فأعرض عن ما يشركون وقال : ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (2) " فتبرأ من الشرك وأذعن للتوحيد وأقام على ذلك البرهان ببطلان إلهية الأجرام العلوية وغيرها " (3) .
ومن هنا ينبغي للمتحاورين إذا ما أرادوا إنجاح أي حوار أن يبدؤوا بالنقاط المتفق عليها لتكون أرضية للانطلاق من خلال التركيز على الكليات الجامعة والمصالح المشتركة والقضايا المصيرية الكبرى ، ومناطق الاتفاق ليحصل المراد من الحوار ألا وهو إنجاحه .

(١) سورة الأنعام الآيات 75-79

(٢) سورة الأنعام الآية 79

(٣) تيسير كريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 262

● احترام مصداقية الخصم

إن احترام مصداقية الخصم حتى وإن كان في معرض حوار وجدل أمر مطلوب لأنه يدخل في دائرة الاحترام، فينبغي أن يكون هناك احترام متبادل فيما بين المتحاورين في أثناء الحوار والمناقشة، حتى يكون الحوار هادفاً ومفيداً (1).

وفي قصة موسى عليه السلام أروع مثال على هذا الأسلوب الراقى - احترام الخصم والاعتراف بمصداقيته - قال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُزَكِّكْ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (2)، ففرعون هنا يذكر موسى عليه السلام بأنه تربي في بيته ، و أنه أخطأ بقتله للقبطي ، حين استغاث به الذي هو من شيعته، وغاية فرعون من كل هذا الأمر وضع موسى عليه السلام في موقف حرج ، فما كان من موسى عليه السلام أن ينكر ذلك ، بل احترام مصداقيته وقال ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ (3) ، وهنا يؤكد موسى عليه السلام أن منهج الأنبياء في الحوار الاعتراف بالخطأ والإقرار به ، وعدم الإنكار للأمر الثابت .

وفي عالم الحوار والجدال والمناظرة يحاول كل محاور أن يقيم الحجة على محاوره ويحاول جهده في أن يغلب خصمه فيضع نفسه موضع الصواب والصحة في الآراء والسلامة في المواقف حتى لو اضطر إلى الكذب تحت ستار عدم الضعف أمام الخصم بالاعتراف بالخطأ .

فموسى عليه السلام أقرّ بما فعل ولم يسعى لتبرير ذلك بل اعترف به، وهذا منهج الأنبياء في حواراتهم مع أقوامهم، قول الحق لأن ذلك يكسب موقفهم قوة حينما يعلم من يحاورونه صدقهم وصراحتهم ومصداقيتهم في مواقفهم وأقوالهم.

(1) قواعد و مبادئ الحوار الفعال ص 51.

(2) سورة الشعراء الآية 18، 19.

(3) سورة الشعراء الآية 20.

الخاتمة

بعد أن تتبعنا حوارات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام - نوح، وشعيب، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وموسى - والقيام بالمقارنة بينها و استخراج الأساليب المنهجية المشتركة فيها تم التوصل إلى التالي:

● النتائج:

(أ) للحوار قواعد ومبادئ و آداب يجب الالتزام بها

(ب) التوحيد هو القضية الأساس في حوار الأنبياء مع أقوامهم

(ت) استخدام الحوار في الدعوة إلى الله منهج قرآني عظيم.

(ث) الحوار في القرآن الكريم طرقه متعددة و مناهجه مختلفة لكن غايته واحدة إظهار الحق

● التوصيات:

- القيام بدراسات وأبحاث تتناول المناهج والأساليب الدعوية لرصد دعوات جميع الأنبياء على غرار الستة المذكورين في هذه الرسالة والمقارنة بينهم.

-فتح وحدة ماجستير تعنى بمنهج الأنبياء في الدعوة إلى الله .

هذا و في الختام نسأل الله عز و جل أن يوفقنا إلى كل خير وصلاح و أن يتقبل جهدنا و يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، و صلى الله و سلم و بارك على سيدنا و نبينا محمد وعلى آله وصحبه و سلم تسليمًا.

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	الآية	السورة
13	33-30	البقرة
56	111	البقرة
44	163	البقرة
54	213	البقرة
48	219	البقرة
32	258	البقرة
49	258	البقرة
63	258	البقرة
44	18	آل عمران
48	43	النساء
44	87	النساء
54	165	النساء
8	44	المائدة
5	50	المائدة
48	91-90	المائدة

54	48	الأنعام
29	74	الأنعام
71	79-75	الأنعام
44	102	الأنعام
44	106	الأنعام
34	161	الأنعام
14	18-11	الأعراف
14	60-59	الأعراف
18,17	60-59	الأعراف
18	59	الأعراف
50	59	الأعراف
33	62-60	الأعراف
55	63	الأعراف
18	62-59	الأعراف
52	65	الأعراف
52	73	الأعراف

25	73	الأعراف
57	73	الأعراف
40	74-73	الأعراف
26	76-75	الأعراف
28	79	الأعراف
67	85	الأعراف
23	89	الأعراف
62	89	الأعراف
54	96	الأعراف
47	158	الأعراف
47	31	التوبة
30	114	التوبة
61	71	يونس
62	86-84	يونس
47	14	هود
59	26	هود

18	27	هود
19	32	هود
64	33-32	هود
19	34-33	هود
66	35	هود
10	36	هود
10	41	هود
10	43-42	هود
11	44	هود
11	48-46	هود
36	61	هود
37	63	هود
35	62	هود
28	65	هود
38	80	هود
38	83-82	هود

55	84	هود
22	88-87	هود
62	88	هود
65	88	هود
57	89	هود
55	90-89	هود
23	91-89	هود
23	92	هود
24	95-94	هود
56	108	يوسف
16	7	إبراهيم
38	68	الحجر
46	36	النحل
53	36	النحل
34	123-120	النحل
9	34	الكهف

9	37	الكهف
54	56	الكهف
57	42	مريم
59	42,43,45,46	مريم
65	46	مريم
65,60	47	مريم
7	57	مريم
41	16-11	طه
47	14	طه
41	18	طه
68	32-25	طه
65	44-43	طه
63	44	طه
43	71	طه
43	76-72	طه
53	25	الأنبياء

32	51	الأنبياء
31	56-51	الأنبياء
32	58-56	الأنبياء
32	67-65	الأنبياء
32	70-68	الأنبياء
47	87	الأنبياء
70	83-82	المؤمنون
70	89-84	المؤمنون
51	22-15	الشعراء
72	20-18	الشعراء
58	33-30	الشعراء
42	48-46	الشعراء
63	48-47	الشعراء
30	63	الشعراء
31	74-69	الشعراء
31	80-75	الشعراء

18	114	الشعراء
20	118-117	الشعراء
26	148-146	الشعراء
50	152-150	الشعراء
26	153	الشعراء
27	155	الشعراء
36	166-161	الشعراء
51	183-177	الشعراء
23	187-185	الشعراء
28	48	النمل
28	53-52	النمل
40	7	القصص
66	55	القصص
31	18-16	العنكبوت
34	27	العنكبوت
35	27	العنكبوت

50	29-28	العنكبوت
36	29	العنكبوت
1	24	فاطر
31	90-88	الصفات
43	28	غافر
63	28	غافر
24	24	الأحقاف
47	19	محمد
39	37	الذاريات
24	42-41	الذاريات
53	56	الذاريات
26	25-24	القمر
47	24-22	الحشر
61,16	4	المتحنة
37	10	التحریم

55	2-1	نوح
19	5	نوح
19	9-7	نوح
56,50	20-13	نوح
50,19	27-26	نوح
9	14	الانشقاق
28	15-11	الشمس

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	أطراف الحديث
18	{ أن هذه - ود، سواع، يغوث، يعوق، نسر - أسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام ... }
34	{ سئل الرسول صلى الله عليه و سلم عن خير البرية فقل: ذاك إبراهيم }
28	{ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا تَدْخُلُوا عَلَيَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْمُعَذِّبِينَ أَصْحَابِ الْحِجْرِ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ... }
5	{ لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ترككم على طريق ناهجة }
9	{ من دعا رجلا بالكفر أو قال: عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه }
29	{ يلقي إبراهيم أباه آزر يوم القيامة ، وعلى وجه آزر قتره وغبرة ... }

قائمة المصادر والمراجع

- إحياء علوم الدين : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، دار المعرفة بيروت. دون ذكر الطبعة وتاريخها
- إعلام الموقعين عن رب العالمين ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط1 1411هـ/1991م
- أساس البلاغة : جار الله الزمخشري ، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط1 1419هـ/1998م دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، عبد الرحمان النحلاوي ط2 1995م ، دمشق دار الفكر.
- البداية والنهاية: الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق د: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.
- التمسك بالقرآن الكريم وأثره في حياة المسلمين : عبد الرحيم بن محمد المغزوي .
- تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان : تقديم الشيخين عبد الله بن عبد العزيز عقيل ومحمد بن الصالح العثيمين ، اعتناء وتحقيق ومقابلة عبد الرحمان بن معلا اللويحق ، ط1 1423 هـ/2002م مؤسسة الرسالة .
- الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، ط2 1384هـ/1964م دار الكتب المصرية القاهرة.

- الحوار آدابه وضوابطه في الكتاب والسنة : يحيى بن محمد حسن بن أحمد زمزمي ، دار التربية والثرث مكة المكرمة رمادي للنشر الدمام.
- الحوار آدابه وضوابطه في الكتاب والسنة : يحيى بن محمد حسن بن أحمد زمزمي ، ط2 1422هـ دار المعالي عمان.
- الحوار القرآني في سورة نوح دراسة تحليلية: إعداد يحيى بن محمد حسن بن أحمد زمزمي، كلية الدعوة وأصول الدين جامعة أم القرى. دون ذكر طبعة أو تاريخ نشر
- الحوار الإسلامي المسيحي : بسام عجك 1418هـ دمشق دار قتيبة.
- سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَار الذهبى ت 748هـ تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة الطبعة : الثالثة، 1405 هـ / 1985 م
- صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ط1 1423هـ/2002م جديدة مضبوطة ومصححة ومفهرسة دار ابن كثير دمشق
- صحيح البخاري : المسمى الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، ط1 1421هـ / 200م مكتبة الوحدة العربية الدار البيضاء المغرب
- صحيح مسلم : الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط1 1412هـ/1991م دار إحياء الكتب العربية

- غريب الحديث : أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي ت388هـ ، دار الفكر ط1402هـ/1982م تحقيق عبد الكريم إبراهيم الغرابوي، وخرج أحاديثه عبد القيوم عبد رب النبي
- فنون الحوار والإقناع : ديماس محمد راشد ، ط1420هـ/1999م دار ابن حزم.
- القرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفهم دراسة عقدية : رسالة علمية لنيل درجة الماجستير بجامعة المدينة الإسلامية بالمدينة المنورة ، دار التوحيد للنشر الرياض.
- قواعد ومبادئ الحوار الفعال : عبد الله عمر الصقهان ومحمد عبد الله الشويعر ، مراجعة وتقديم د فهد بن سلطان السلطان مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني. دون ذكر تاريخ الطبعة
- لسان العرب : محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي ، ط1414هـ دار صادر بيروت.
- مذكرة التوحيد : الشيخ عبد الرزاق عفيفي دون ذكر تاريخ الطبعة ودار النشر.
- المسند : الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، وعادل مرشد وآخرون ، إشراف د عبد الله المحسن بن عبد المحسن التركي ، ط1421هـ/2001م مؤسسة الرسالة.
- معجم البلدان: للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، دار صادر بيروت 1397هـ/1977م
- معجم مقاييس اللغة : احمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي ، أبو الحسين ، تحقيق محمد هارون دار الفكر 1399هـ/1979م.
- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية: ط1425هـ 2004م مكتبة الشروق الدولية.

- المفردات في غريب القرآن : ابو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق عدنان الداودي ، دار القلم الدار الشامية ط1412هـ دمشق بيروت.
- مناهل العرفان في علوم القرآن : محمد عبد العظيم الزرقاني ، تحقيق فواز أحمد زمرلي.
- النبوة والرسالة بين الإمامين الغزالي وابن تيمية : محمد ولد الداه ولد أحمد الداه الطالب عيسى ، ط1425هـ/2005م دار طوق النجاة بيروت لبنان.

المواقع والبوابات الالكترونية:

<http://shamela.ws/>

<http://www.saaid.net/>

<http://library.islamweb.net>

<http://islamstory.com>

<http://www.sunnah.org.sa/>

wikipedia